مغامرات الإخوة الأربعة

وادي الكهوف

مؤسسة المطبوعات الحديثة

مغامرات الإخوة الأربعة

٣

وادي الكهوف

بقلم

محمد أحمد برانق

تصدرها

مؤسسة المطبوعات الحديثة

عوالم روايات الجيب

الساحرة

تقـــديم

هذا هو الكتاب الثالث من سلسلة مغامرات الإخوة الأربعة، وفى هذا الكتاب نلتقى مرة أخرى بالشخصيات التي نعرفها من قبل معرفة جيدة، وهي: طريف، وأنسام، وأسامة، وإلهام، ثم سمير الذي تجمعه المصادفة المحضة بهؤلاء، والذي نراه دائماً مستعداً لبذل العون في وقت الشدة.

ونلتقى أيضاً بالببغاء كيكي وهي تقوم بدور جوهري في القصة بلغوها الباسم، وثرثرتها المضحكة.

وفى هذه المرة هبط الأطفال من السماء ورأوا أنفسهم مندمجين في مغامرة عجيبة مثيرة فى واد منعزل مهجور، تحف به الجبال العالية وتنتشر في أرجائه بيوت مرَّ على بنائها زمان طويل، فهي تكاد تتهدم. وتنتشر كذلك كهوف وسراديب في باطن الجبل، وهناك أيضا الكنز!!!

ولكن... أي كنز هو؟! وأين مكانه؟! ومن الذي يسعى للاستيلاء عليه؟

هذا هو اللغز الذي وقف الأطفال أنفسهم لحله، فخاضوا مغامرات كثيرة يقف لها شعر الرأس، وأفلتوا من أخطار كثيرة بأعاجيب مدهشة!

وقد قدمنا لك قبل هذا الجزء من تلك السلسلة:

١ - الجزيرة الغامضة.

٢ - قلعة المغامرات

الفصل الأول

١- فى طيارة سمير

البغاء كيكي غاضبة. لأن الإخوة الأربعة - أسامة وطريفاً وإلهام وأنسام - تركوها فى المنزل طول اليوم، وبحثت عنهم فلم تستطع العثور عليهم، فظلت في إحدى الغرف تكلم نفسها وهي مكتئبة: الجرس يدق.. يدق.. كيكي داخل البئر! الجرس يدق.. يدق...! كيكي داخل البئر! أقفل الباب! ضع البراد على النار!

ودخلت السيدة والدة الإخوة الأربعة الحجرة وقالت: لا تحزني يا كيكي، فسيعود الأطفال بعد وقت قصير.

وقالت كيكي وهي متألمة: الجرس يدق.. يدق!

فقالت السيدة الوالدة: سيعودُ طريف فَوْراً

وفتحت كيكي منقارها وأطلقت صيحة شديدة تقلد صفير القطار. فوضعت السيدة يديها على أذنيها وصاحت: أَيَّتُها الشقية! أقفلي فمك!

فصاحت كيكي: أقفل الباب! أقفل الباب! أقفل الباب!

وفى تلك اللحظة وصل إلى الحجرة صوت الأولاد وقد وصلوا إلى المنزل. فقالت والدتهم لكيكي: لقد أقبل الأطفال. لقد كانوا في نزهة فى طائرة سمير، ولذلك تركُوكِ هنا!

وأقبل الأطفال الأربعة يتصايحون وخلفهم سمير صديقهم الكبير الذي اشترك معهم في مغامراتهم الممتعة في جوف مناجم النحاس المهجورة ضد المزيفين [١]، وفى مغامراتهم التي يقف لها شعر الرأس في القلعة التي كان الجواسيس الخطرون يتخذونها وكراً لهم [٢]. وطارت كيكي فرحة، ووقفت على كتف طريف. وقالت والدتهم: هل كانت النزهة جميلة؟

فاندفع جميع الأطفال يتكلمون في وقت واحد:

سأشترى طائرة عندما أكبر!

كان يجب أن تأتى معنا يا أماه، فقد قاد سمير الطائرة بمهارة فائقة!

لقد كانت رحلة ممتعة، ولم أشعر بدوار أو تعب

وجلس الإخوة أسامة وطريف وإلهام وأنسام، وتهيئوا ليقُصُّوا تفاصيل الرحلة على والدتهم، فقالت إلهام: لقد حلقنا فوق السحاب، وكنا ننظر إليه من أعلى، ولكن لم يكن يبدو كالسحاب وإنما كان يخيل إلينا أنه بساط من الثلج الأبيض.

---

(١) قصه هذه المغامرة فى كتاب (الجزيرة الغامضة)، وهى الحلقة الأولى من سلسلة مغامرات الإخوة الأربعة

(٢) قصة هذه المغامرة فى كتاب (قلعة المغامرات)، وهى الحلقة الثانية من سلسلة مغامرات الإخوة الأربعة.

وقال أسامة: لقد حلّقنا فوق منزل خالتنا عزيزة [١] على شاطئ البحر، وفوق الجزيرة التي كان المزيفون يختبئون فيها. ثم حلَّقْنَا فوق منزلنا هذا، وكان يبدو كأنه لعبة صغيرة.

وقالت أنسام: لم أكن أظنُّ الطائرة كبيرةً هكذا، وقد ظننتُ أنني سأشعر بِدُوَارٍ عندما ترتفع عن الأرض، ولكنني لم أعلم أن عجلاتها قد ابتعدت عن الأرض إلا عندما نظرتُ من النافذة فوجدتها تحلق فوق المنازل.

وقال طريف: يُخيَّل إلى أن قيادة الطائراتِ أسهل من قيادةِ السيارات!

فقال أسامة: إن قيادة الطائرات تحتاج إلى مهارة عظيمة. هل تذكرون ذلك المَطَب الهوائي الذي سقطت فيه الطائرة فجأة؟

فقال طريف: نعم!! وقد أحسست عند هبوط الطائرة فجأة أن قلبي ينخَلِــعُ، ولعل سبب ذلك أني لم أركب طائرة قبل اليوم.

فقالت والدتهم موجهة كلامها لسمير: لقد هيأت لهم فرصة ممتعة حقاً، وتجربة لم يسبق لهم أن مَرُّوا بها.

---

(١) عزيزة خالة الإخوة الأربعة وهى التي قضوا عندها أول صيف وضبطوا فى هذا الصيف جماعة المزيفين في الجزيرة الغامضة.

فقال سمير: لقد جئتُ معهم اليوم لأستأذنك في أن أقدم لهم تجربة أخرى لم يجربوها من قبل، وهي التحليق ليلاً في طائرتي.

فقالت والدة الأطفال: إن ذلك سيكون مثيراً حقاً. وليس هناك داع لكن تُجثم نفسَكَ كلَّ هذا العناء من أجلهم.

فابتسم سمير وقال: إنهم أولاد أفذاذ. ولا يستطيع المرء أن يعرف الوقت الذي يدفعون فيه أنفسهم إلى مغامرة جديدة. وأنا لا أحبُّ أن تفوتني هذه المغامرات. كما إني فكرتُ أن أريحكِ من شقاوَتِهم بعض الوقت فى هذه العطلة.

فقالت متسائلة: وماذا تريدُهم أن يفعلوا؟

فأجاب سمير: لقد فكَّرتُ أن أصحَبُهُمْ فى نزهة ليليَّةٍ وأهبط بهم عند منزلي فى الريف حيثُ يُمضُونَ يوما كاملا، ثم أعود بهم في اليوم التالي. ولكني وجدت أن العمل الذي كنتُ سأقوم به قريباً قد تأجل بعض الوقت، فأردت أن أنتهز هذه الفرصة وأصحَبُهُمْ لقضاء عدة أيام فى منزلي. وسيجد طريف مجالا كبيرا ليمارس هوايته، فهناك عشرات الأنواع من الطيور. ولا شك أن أسامة سيجد عدداً من الحيوانات ليتألفها على طريقته التي يتألف بها الحيوانات والحشرات. وسَتُسَرُّ إلهام وأنسام أيضاً لذلك التغيير.

وتصايح الأطفال محبّذين الفكرة، فقالت والدتهم: ليس هناك ما يمنع من ذهابهم معك، فأنا أعلم أنك ستعتنى بهم، ولن تتركهم يتعرضون لمغامرة جديدة بعد مغامرتي العامين السابقين في الجزيرة الغامضة وفى قلعة المغامرات.

فقال سمير: أنني أعدك بذلك، فليس هناك أي مجال للمغامرات بالقرب من منزلي.

فسألته: ومتى تبدأ هذه الرحلة؟

فقال: مساء الغد، فإن العملية التي أقوم بها ستتأجَلُ قليلا.

فسألته أنسام: وما نوع هذه العملية؟

فضحك سمير وقال: إن جميع أعمالي سرية، لا يعرف أحد يعرف عنها شيئاً، ومع ذلك فإلى سأخبركم بها بعد أن أفرغ منها.

وقالت إلهام: ما دمنا سنقضى بضعة أيام فيجب أن تأخذ معنا بعض الملابس، فعليكم أن تُعِدُّوا حقائبكم.

فقال سمير: نعم! ويحسن أن تُحْضِرُوا معكم بعض الأغطية الخفيفة فقد تحتاجون إليها؛ لإني أخشى ألا يكون لدى استعداد كامل لاستقبال أربعة من الزائرين دفعة واحدة.

فقال طريف: سأحضر آلة التصوير أيضاً معي.

فقال أسامة: ولا تنس المنظار المعظم كذلك.

وسألت والدة الأطفال سميراً: وفى أي وقت تبدأ الحملة؟

فقال سمير: فى نحو الساعة الثانية عشرة مساء!

فقالت: عند منتصف الليل! يا له من مَوْعِدٍ متأخر!

فصاح الأطفال: لقد وافقت على ذَهابنا يا أماه، فلا تُغيَّري رأيك.

فقالت: لا ا لن أمنعكم من الذهاب. ولكنى لست أشعر بارتياح لهذا الموعد المتأخر !

فقال سمير: إنني سأعتنى بهم كل العناية فلا تقلقي.

وصاح طريف فجأة: وماذا يكون من أمر كيكي؟ أنني لا أستطيع أن أتركها عدة أيام، فهل أستطيع أن آخُذَها في الطائرة؟

فقال سمير: نعم، تستطيع أن تأخذها معك فى الطائرة، إلا أنه يحسن أن تضعها في سلة مغلقة، فقد يزعجها الأزيز فتطيرُ متخبطة في أنحاء الطائرة.

فقال طريف: حسناً! هل سمعت ذلك يا كيكي؟ ستسافرين في سلة، فيجب أن تحسني السلوك! فصاحت كيكي: امسح قدميك! قطَّة قطيفة لطيفة !

فضحك الجميع. وقال طريف: إنها تقصد أن تقول:

قطتي أليفة واسمها لطيفة

حلوة ظريفة تلبس القطيفة

فاستمعت كيكي إليه وقد أمالت رأسها على أحد الجانبين، ثم قالت تُصَوِّبُ كلامه: قطة قطيفة لطيفة! قطة قطيفة لطيفة!

ونهض سمير مُنْصَرِفاً وهو يقول: سأنتظركم في المطار غداً في الساعة الثانية عشرة مساء.

وعندما أقبل مساء اليوم التالي كان الأطفال قد انتهوا من إعداد حقائبهم، وأعطتهم والدتهم حقيبة صغيرة ملأتها بالحلوى والطعام للرحلة. وأحضر طريف سَلَّةَ لها غطاء، فلما رأتها كيكي صاحت الجرس يدق.. يدق ... كيكي في داخل البئر!

فضحكت أنسام وقالت: تقصدين أن كيكي في السلة؟ أليس كذلك؟

وحمل الأطفال حقائبهم إلى الطابق الأول، ومعهم سَلَّة كيكي، ولكنها كانت لا تزال مُطلقة السراح.

وعند ما حان الوقت وضع طريف كيكي في القفص، وركب الأطفال الأربعة سيارة أجرة بعد أن ودَّعوا والدتهم. وانطلقت بهم السيارة إلى المطار وكيكي تملأ الدنيا صياحاً من داخل القفص: أقفل الباب! أقفل البابَ! قطة قطيفة لطيفة! الجرس يدق.. يدق...! كيكي في داخل البئر !

وعندما لاحت أنوار المطار من بُعدِ صاح أسامة: ها قد اقْتَرَبْنَا من المطار. فلما وصلوا إلى المطار أخذ أحد الحمالين حقائبهم، وقال أسامة: هذا هو سمير! هيا بنا إليه.

٢- غلطة جسيمة

كان سمير واقفاً يتحدث مع بعض الرجال، فقال للأطفال بعد أن حياهم: أنني مشغول لبضع دقائق، وهذه هي الطائرة التي ستطير بنا - وأشار بيده إلى طائرة رابضة فى المطار - فاذهبوا واصعدوا فيها، وضعوا حقائبكم فى مؤخرتها وسأتبعكم على الفور.

وكانت الطائرة تقف فى الظلام ومحركاتها دائرة، وقد وضع الحمال حقائبهم بجانبها، فأخذها الأطفال وصعدوا فى السلم ودخلوا الطائرة، وكان الظلام في داخلها حالكا، فلا يكاد الواحد منهم يرى يديه إذا نظر إليهما. فتحسس الأطفال طريقهم إلى مؤخرتها حيث وضعوا حقائبهم. وقال أسامة: ما هذا الصندوق الضخم الذي يملأ نصف الطائرة؟ يا ترى ماذا يفعل به سمير؟

فقال طريف: لعله يُحركه من مكانه قليلا حتى نستطيع أن نجد لأنفسنا مكانا كافيا!

ومضى وقت طويل دون أن يُقبِل سمير. وخُيِّلَ لطريف أنه سمع صوتا يناديهم فذهب إلى باب الطائرة، ولكن الظلام كان شديداً ولم

يسمع سوى دوى المحركات، فعاد إلى مكانه. وفجأة سمع الأطفال صوت طلقات نارية يعلو على أزيز المحركات، ثم سمعوا صوت شخص يصعد فى سلم الطائرة مسرعا، ورأوا رجلا يسرع بالجلوس في مكان القيادة، ثم تبعه آخر، ولم يتمكن الأطفال من رؤية الرجلين وتمييزها بسبب الظلام. وسرعان ما درجت الطائرة على أرض المطار ثم ارتفعت واندفعت محلقة فى السماء، والأطفال فى عجب مما يحدث. وقالت إلهام: إن سميراً لم يكلمنا! بل إنه لم يلتفت ليتحقق مما إذا كنا في الطائرة أو لا!

فقال طريف: لعله لا يريد أن يعرف الرجل الآخر أننا هنا، فالزموا الهدوء حتى يبدأ هو بالكلام.

وأدار أحد الرجلين زراً صغيراً، فغمَرَ الضوء غرفة القيادة، وأطل أسامة برأسه خلف الصندوق الكبير لعل سميرا يراه، ولكنه أسرع بالعودة إلى مكانه وجلس صامتا. وشعر طريف أن شيئاً يزعج أخاه أسامة فسأله: ماذا بك؟

فقال أسامة: اذهب وانظر إلى هذين الرجلين.

فنهض طريف ونظر إليهما ثم عاد وقال فى صوت خافت: ليس سمير واحداً من هذين الرجلين!

فقالت أنسام: كيف؟! لا بد أن يكون أحدهما؟ أليست هذه طائرته؟

فقالت إلهام فجأة: هل هي طائرته حقا؟ انظروا إلى المقاعد إنها حمراء، وطائرة سمير مقاعدها خضراء!

وقال طريف: حقا! أنني أذكر ذلك. لقد أخطأنا وركبنا طائرة أخرى!

وساد بينهم سكون عميق، فهم في طائرة غريبة يقودها رجلان قد يستشيطان غضباً إذا عثرا بهم. ولم يشعر أسامة أو طريف بالاطمئنان بعد أن رأيا وجهي الرجلين وهما يتحدثان. وكان أزيز الطائرة يصم الآذان، فقال أسامة وهو مطمئن إلى أن الرجلين لن يسمعاه: يا ترى! هل هناك علاقة بين هذين الرجلين وبين الطلقات النارية التي سمعناها؟ لقد صعدا في سلم الطائرة فى عجلة شديدة. ثم أقلما بالطائرة فور صعودهما إليها. يُخَيَّلُ إلى أننا سنجد أنفسنا فى وسط مغامرة جديدة.

وقال طريف: وماذا نفعل الآن؟ !

فقال أسامة: لست أدرى بعد. وقد أوقعنا ذلك الحمال الغبي فى هذا المأزق، فقد وضع حقائبنا بجانب طائرة غير التي نقصدها، ولم ننتبه نحن إلى ذلك بسبب الظلام. وقالت أنسام: أنني أخشى أن يفطِنَا إلى وجودنا فيقذفا بنا من الطائرة.

وقالت إلهام: إننا مجموعة من الحمقى، إذ لولا حُمْقُنا لما أخطأنا الطائرة .

وساد السكون مرة أخرى والجميع يفكرون فيما يجب عليهم عمله وأخيراً قال أسامة: إني أرى أن نظل في مكاننا هنا على أمل ألا يكشف هذان الرجلان أمر وجودنا، حتى إذا وصلت الطائرة إلى نهاية الرحلة أمكننا أن نتسلّل منها ونبحث عن طريقة نعود بها.

وقال طريف مؤيداً: نعم! هذه أحسنُ فكرة. ولن يعثر الرجلان علينا إلا إذا جاءا إلى هنا لسبب ما. وأعتقد أن ما سمعته في المطار كان صوت سمير يناديا، ولا ريب أنه قد ذهب إلى طائرته ولما لم يجدنا أخذ ينادى. آه . . . لو فطنت إلى ذلك!

فقال أسامة: لقد ضاعت الفرصة، ولكني أرجو ألا تجزع والدتنا عندما تسمع بما حدث، فإني أخشى أن تَظُنَّ أننا قد اندمجنا في مغامرة جديدة.

وظلت الطائرة منطلقة بأقصى سرعتها مخترقة حجب الظلام إلى وجهة لا يعلمها الأطفال. وتمددت أنسام على أرض الطائرة وقالت: إن النوم يداعب جفوني، وسأنام حتى لا أشعر بشيء من الخوف أو القلق.

فقال أسامة: إن النوم فكرة حسنة وسأنام أنا أيضاً، ولا شك أننا سَنَسْتَيْقِظُ عندما تهبط الطائرة. وتذكرت إلهام حقيبة الطعام الصغيرة. فقالت: هل يريد أحدكم أن يأكل شيئاً من الشطائر أو الكعك؟

ولكن أحداً لم يطلب شيئاً فقد أفقدتهم المفاجأة شهيَّتَهُمْ وأنستهم الجوع. وسرعان ما كان الجميع قد ناموا ما عدا طريفاً الذي أخذ يتساءل: يا ترى! هل لسمير علاقة بالطلقات النارية التي سمعناها في المطار؟ وهل لهذين الرجاين علاقة بالمهمة السرية التي يضطلع بها سمير فى تلك الآونة؟؟ إذا كان الأمر كذلك فربما استطعنا أن نعرِفَ بعض المعلومات التي قد تفيد سميرًا. وعلى ذلك يجب ألا يشعرَ هذان الرجلان بوجودنا فى الطائرة. وأطلقت كيكي صَيْحَةً شديدة مفاجئة فوثب طريفٌ من مكانه مذعوراً، فإنه كان قد نسيها. وأدنى طريف وجهه من السلة وقال وهو يأمل أن تسمَعَه: الزمي الهدوء، ولا تحدثي صوتا يا كيكي. الزمي الهدوء!

فقالت كيكي من داخل السالة: هدوء! هدوء! هش ش ش

فلم يتمالك طريف أن يبتسم

وبعد لحظات تبادل الرجلان مكانيهما، وتولى الرجل الثاني قيادة الطائرة، ونهض الرجل الأول وتقدم من منتصف الطائرة، فكاد قلب طريف يكف عن الخفقان من فرط ذعره لأنه خشى أن يتقدَّمَ الرجل من مكانهم فيكشف وجودهم. ولكن الرجل وقف مكانه وأخذ يتمطى ويَشُدُّ عضلات رجليه ثم أشعل لفافة تبغ، وما لبث أن عاد إلى المقعد الخالي بجوار زميله. وشعر طريف بالنوم يغالب جفنيه، فنام. وظلت

الطائرة مندفعةً فى طريقها، مارة فوق حُقُول وقُرًى ومُدُن، ولكنها لم تهبط فى أي منها. وعَبَرَتِ الطائرة بحراً. وعندما اقترب الفجر بدأت تحلق في دوائر متتابعة متجهة إلى الأرض. وأيقظت حركة الطائرة الأطفال، فجلسوا قائلين: إننا نهبط.

٣- أين هبطت الطائرة؟

هبطت الطائرة فى سلام، وسارت على الأرض ثم توقفت عن السير، وسكتت محركاتها فساد السكون. فسر الأطفال وأمكنهم سماع أحد الرجلين يقول للآخر: لقد قطعنا المسافة في وقت أقل من المعتاد، وقد هبطت هبوطاً فنياً هادئاً يا عوض.

فقال عوض: هيا بنا إلى الكوخ لنتناول الطعام.

وفرح الأطفال عندما نزل الرجلان من الطائرة دون أن ينظُرا خَلْفَ الصندوق. وقال أسامة: فلننظر من إحدى النوافذ لعلنا نرى أحد رجال المطار فنطلب منه أن يأخذنا إلى أحد المسئولين، وبذلك نستطيع أن نتصل بوالدينا وسمير.

واندفع الجميع إلى أقرب النوافذ، ولكنهم صُدِمُوا عندما وجدوا أن الطائرة لم تهبط فى أحد المطارات وإنما هبطت فوق أرض منبسطة كثيرة العشب فى واد تحيط به جبال شامخة! وقال طريف: أين نحن؟

فقال أسامة: إننا فى واد تحيط به جبال عالية من جميع الجهات. إنه مكان جميل، ولكنه مُنعزل، ولا أعتقد أننا سنجد طائرة تعود بنا.

ولم يستطع الأطفال أن يَرَوْا منزلا أو أي نوع من المباني. فقالت إلهام: ماذا نفعل الآن؟! أنغادر الطائرة أم نبقى فيها؟

فقال طريف لأسامة: إنني لا أدرى فيم تُفكر الآن! ولكنى لا أحبُّ هذين الرجلين ولا أحبُّ الطريقة التي ركبا بها الطائرة. وبعث فى نفسى شكوكا كثيرة اندفاعهم إلى الطائرة بعد تلك الطلقات النارية التي سمعناها.

فقال أسامة: هيا بنا نغادر الطائرة، فقد نعثر على بعض المزارعين أو الرعاة، وعندئذ نستطيع أن نقرر ما نفعل.

وقالت أنسام: أي بلد هنا؟

فقال أسامة: إني لا أعرف، ولكنى أرى أن نستطلع المكانَ.

قالت إلهام: إني أعجب! لماذا يأتي هذان الرجلان إلى مثل هذا المكان الموحش المنعزل؟! إني لا أعتقد أنهما يقومان بأعمال طَيِّبة، ومن الأفضل أن نغادر الطائرة ونبحث عن مكان نختبئ فيه مُؤقتًا.

فقال طريف: هذه أحسنُ فكرة هيا بنا.

وأخذ الجميع ينظرون من جميع نوافذ الطائرة لعلهم يرون الرجلين، فلما لم يجدوا لها أثراً قال طريف: هيا بنا... ولكن هل نأخذ حقائبنا وكيكي؟!

فقال أسامة: نعم! إذ لا يصح أن يعرف الرجلان أننا كنا معهما فى الطائرة.

وهكذا غادر الأطفال الطائرة ومعهم حقائبهم والسلة التي بها كيكي. وأخذت كيكي تحتج على هذه المعاملة السيئة. وقال طريف: انظروا هناك!

ونظر الجميع إلى حيث أشار، فرأوا خيطاً رفيعاً من الدخان يتصاعد من بين الأشجار.

وقال أسامة: لقد أوقد الرجلان ناراً، ويحسنُ بنا أن نسير مبتعدين عن مكانهما. إني أرى ما يشبه ممراً، فهيا إليه.

ودار الأطفال حول بعض الصخور فوجدوا ممراً صاعداً في الجبل فساروا فيه... وما لبثوا أن وجدُوا جَدْوَلا صغيراً صافياً، فقال أسامة: إني أشعرُ بعَطَش شديد ولو إني لا أشعر بالجوع..

وشرب الجميع من الماء الصافي فأحسوا بانتعاش، وغمست إلهام منديلها في الماء ومسحت به وجهها فشعرت بانتعاش أكثر. وفعلت أنسام مثلها. وقال طريف: إننا نريد مكانا نختبئ فيه ونخفي فيه هذه الحقائب أيضاً:

فقال أسامة: فَلْنَمْض فى طريقنا صاعدين حتى نَسْتَطِيع أن نرى الطائرة وهي فى مكانها، فإن ذلك يساعدنا على تحديد مكاننا فلا نَضِلُ الطريق. فسيروا بَيْنَ هذه الأشجار.

فقال طريف: هذه فكرة حسنة.

واتخذ الأطفال طريقهم بين الأشجار، وبعد برهة قال طريف: أليس ذلك منزلا؟

ورأي الأطفال شيئاً كأنه منزل فتوجهوا إليه. ولكنهم عندما اقتربوا منه وجدوه أطلالاً محترقة، فقال أسامة: وا أسفاه!! لو كان منزلا لكان في استطاعتنا طلب المساعدة من أصحابه!

واستمر الأطفال يصعدون حتى رأوا منزلا ثانياً، ولكنه كان كسابقه أطلالاً محترقة ولا أثَرَ للحياة فيه. وقال طريف: هذا غريب! منزلان محترقان ولا أثَرَ للحياة فيهما!! ما الذي كان يحدث في هذا الوادي؟

وواصل الأطفال صعودهم ولمحوا منزلا ثالثاً، فلما وصلوا إليه وجدوه في مثل حالة المنزلين السابقين، فقالت إلهام: هذا شيء فظيع!! ماذا حدث لساكني هذه المنازل؟! أكانت هنا حرب أم ماذا؟! إني أعجب أين نحن؟

وقالت أنسام: انظروا ما هذا؟

فقال طريف: إنه كوخ صغير، ويبدو أنه ليس محترقاً مثل هذه المنازل.

فقال أسامة: إذا هيا بنا إليه، فقد نجده صالحا للاستعمال فتتخذه مخبأً لنا.

واتجه الأطفال إلى الكوخ فوجدوه ما زال مُتماسكا وليس به إلا القليل من آثار الحريق في أحد أركانه وفى جزء من السقف. أما باقي أجزائه فقد كان سليما ومتيناً. فقالت إلهام: إنه مكان مناسب مؤقتاً ونستطيع أن نمكث هنا حتى نستطلع المكان الذي يحيط بنا.

ووضعوا حقائبهم في أحد أركان الكوخ.. ووضع طريف سلة كيكي مُنكَسَةً، فانطلقت تصيح مُحتجَّة، فقال طريف: أيحسن أن نطلق سراح كيكي الآن؟! لا شك أنها تعبت من هذا الوضع في السلة؟

فقال أسامة: أطلقها فهي لو طارت وراها الرجلان فليس في ذلك ضَرَر. إنها طائر كسائر الطيور، ولكنها سترعبهما إذا بدأت تثرثر كعادتها.

وأطلق طريف سراح كيكي فانطلقت فَرِحَةً تُصَفِّق بجناحها ثم عادت إلى كتف طريف وهي تصيح: أين منديلك؟ أقفل الباب! أقفل الباب!

فقال طريف: لا تصيحي هكذا!

فقالت كيكي بأعلى صوتها: هششش، ولم تقل شيئاً بعد ذلك وإنما جلست تُطَقْطِقُ بمنقارها، وقال أسامة: ماذا نفعل الآن!؟! أتخرج في جولة استكشافية لعلنا نجد أحداً يساعدنا، أم تراقب هذين الرجلين لكى نعرف سبب مجيئهما إلى هذا المكان، أم نظل مختبئين هنا؟

فقال طريف: بل نخرج للاستكشاف لأن أهم شيء هو أن نجد من يُساعدنا لكى نعود سريعاً، فإن والدتنا ستكون فى أشدَّ القلق من أجلنا وكذلك سمير، ولا بد أن يَفْزَعَ حين يتفقدنا فلا يجدنا.

وأطلت إلهام برأسها خارج الكوخ وقالت: إن هذا الوادي جميل ولا أستطيع أن أفهم سبباً لهجره هكذا، فهو يجب أن يكون آهلا بالمنازل والرعاة والماشية والأغنام، ولكنني لا أرى أثراً لمخلوق واحد، بل إنه ليس فيه أثر لأي دخان فى الجو سوى ذلك الدخان الذي يتصاعد من المكان الذي فيه الرجلان يعدان طعامهما. ولماذا أُحرقت هذه المنازل؟ !

فقال أسامة: إننا لم ننو غير جانب صغير من هذا الوادي وهذه الجبال. وقد نسير فى أي اتجاه فنجد أنفسنا فجأة أمام مدينة أو قرية تنبض بالحياة، ولكن... أليست هذه الجبال رائعة؟

فقالت أنسام: نعم! إن مَنْظَرها جميل وهي تكون حلقة عاليةً محكمةً حول الوادي. ولا بُدَّ أن يكون هناك مَخرج من هنا، فمثل هذه الجبال تحوى دائماً ممرات تخترقها هنا وهناك.

وقال طريف: إن هذا الوادي بالغ الروعة والجمال حقاً، ولا تقل عنه روعة وجمالا تلك الجبال الشم المحيطة به، ولكن المكان كله تسوده عزلة ثقيلة ووحشة غير عادية، حتى الطيور التي تطير في سمائه طيور حذرة تطير وهي ساكتة صامتة. وإن المكان يحيط به جو من الغموض، وأعتقد أننا على وشك الاندماج في مغامرة جديدة.

فقالت إلهام: هراء!! إني أعتقد سنلتقى بمن يساعدنا على العودة، وأننا سنكون في منزلنا غداً إن لم يكن قبل غد.

٤- جولة استطلاعية

وقف الأطفال الأربعة عند باب الكوخ يتأملون الجبال العظيمة التي تحدق بالوادي وتحيله سجناً أخضر. وقال طريف -وهو من هواة الطيور-: يا له من مكان مُنْعَزل! إنني أعتقد أنه ملئ بالطيور من كل صنف ونوع بالرغم من إني لم أر غير طائر أو اثنين بعد. ولكن ما الذي يجعل هذين الرجلين يأتيان إلى مثل هذا المكان؟! أنني أظن أنهما قد جاءا إلى هنا قبل ذلك وأنهما يعرفان المكان معرفة جيدة، ويدل على ذلك نجاحهما في الهبوط بالطائرة بهذه السهولة.

وقال أسامة فجأة -وهو يهوى دراسة الحشرات والحيوانات الصغيرة-: انظروا إلى هذه السحلية الصغيرة الجميلة! أنني لم أرَ مثلها قبل الآن.

ومرت السحلية بالقرب من قدم أسامة فأسرع يمسكها من رقبتها، ولو أنه أمسكها من ذيلها لكان من المحتمل أن تفر تاركة ذيلها في يده. وقال أسامة: انظروا إلى أقدامها الصغيرة وأصابعها الدقيقة.

فقال طريف: ضعها على راحة يدك لنرى ما إذا كانت سترضى بالبقاء معك.

وكان لأسامة تأثير عجيب على الحيوانات فقال: طبعا ستبقى معي!، وفتح راحة يده فلم تحاول السحلية الفرار. فقال: إنك تريدين البقاء معي.. أليس كذلك؟ سأنفذ رغبتك. والآن ما اسمك؟ سأسميك ...! ونسى الجميع متاعبهم لحظة واحدة وأخذوا يضحكون من حديث أسامة مع السحلية . . . قال أسامة: سأحاول أن أحضرَ لَكِ بعض الطعام الطازج.

وتقدم من بقعة تغمرها أشعة الشمس كانت بعض الفراشات تحوم حولها، وأمسك بفراشة صغيرة، وقربها من فم السحلية فسارعت إلى التهامها ثم أخذت تنظر إليه مسرورة. وكأنها تطالب المزيد. وفى أثناء ذلك كانت كيكي تنظر إلى السحلية ويظهر على وجهها الاستياء والامتعاض، وأمالت رأسها على أحد الجانبين. ولم تكن كيكي تحب الحيوانات التي تستأنس لأسامة، ويبدو أنها كانت تغار منها. وفجأة انطلقت تقول بصوت فيه حدة وغضب: سحلية قطيفة لطيفة! أين منديلك؟

وانفجر الأطفال ضاحكين، فقد كانت كيكي تريد تأنيب السحلية، ولكنها أخطأت التعبير، وصاحت كيكي: هششش!

وقال أسامة: هيا نخرج فى جولة استطلاعية لنرى ما إذا كان هناك من يقيم فى هذا الوادي أو فى تلك الجبال، ويجب ألا يفترق بعضنا عن بعض حتى لا نضل الطريق، وسنتخذ من هذا الكوخ مركزاً لنا.

فقال طريف: من حسن الحظ أنني أحضرت البوصلة فستعيننا على تحديد اتجاهنا ومكاننا.

وخرج الأطفال من الكوخ فرأوا الدخان لا يزال يتصاعد من النار التي أوقدها الرجلان. فقال طريف: يجب أن تتجنب السير في اتجاه هذا الدخان ويحسن أن نتبع هذا الممر ونصعد في الجبل.

فقال أسامة: ويحسن بنا أيضاً أن نضع علامات على بعض الأشجار التي ستصادفنا في الطريق حتى نهتدى بها عند عودتنا.

وأخرج كل من أسامة وطريف مُدْيَتَهُ ومضى الاثنان يحدثان ندوبا ظاهرة فى بعض الأشجار التي يمرون بها حتى خرجوا من الغابة الصغيرة إلى سفح تل معشوشب تنتشر في أرجائه الأزهار، فقالت أنسام: إني لم أرَ مثل هذه الألوان الجميلة قبل ذلك. انظروا إلى هذه الزهرة الزرقاء ... إنها أشد زرقة من السماء نفسها! وهذه الأزهار القرنفلية الصغيرة!

وفجأة قالت إلهام: هل يستطيع من يكون فى الوادي أن يرانا ونحن في مكاننا هذا؟

فنظر الجميع إلى أسفل ... وقال أسامة: هذه هي الطائرة! وهذا هو أحد الرجلين يتجه إليها. انبطحوا كلكم على الأرض!... وفى الحال انبطح الجميع حتى لا يراهم الرجل. ووضع طريف منظاره المعظم على عينيه فرأي الرجل المسمى عوضا يتجه إلى الطائرة ثم يصعد إليها. فقال: لقد صعد عوض إلى الطائرة. يا ترى! هل يترك زميله ويرحل؟

ولم تمض دقيقتان حتى غادر الرجل الطائرة وسار متجهاً إلى مجموعة من الأشجار المتكاثفة وهي التي يتصاعد الدخان من بينها ولما وصل إليها اختفى فيها. فقال طريف: يبدو أنه كان يأخذ شيئاً من الطائرة . . .

فقال أسامة: خير لنا أن نتخذ طريقاً غير هذا، فما دمنا نستطيع أن نراه ففي استطاعته أن يرانا أيضاً إذا نظر إلى أعلى..

فواصل الأطفال صعودهم حتى وصلوا إلى نتوء بارز يدور حول سفح الجبل، فلما وجدوه متّسعاً أقدموا على السير فوقه إلى الجهة الأخرى من الجبل، وعندئذ وجدوا أنفسهم فوق سفح مغطى بالكلأ الأخضر واستطاعوا وهم فى هذا المكان أن يَرَوُا الوادي كله، وكان مهجورا، فلم يروا بقرةً واحدةً، بل لم يروا عنزاً شاردةً! وواصلوا صعودهم حتى انتهوا إلى منزل محترق على الصورة التي رأوا بها المنازل المحترقة من قبل.

فقال طريف: إن بي شوقاً شديداً إلى معرفة ما كان يحدث في هذا الوادي! وقد بدأت أعتقد أننا لن نجد أحداً يعيش هنا!

فقال أسامة: إنك على حق يا أخي! لأننا لم نر حيوانا أليفاً واحداً، ولو كلباً، ولكن الشيء الذي يحيرني هو: لماذا لم يأتِ أناس من الوديان المجاورة، ويعيدوا بناء هذه المنازل المحترقة ويَرْعَوا ماشيتهم وأغنامهم على هذا الكلأ النامي؟!

فقالت أنسام: لعل هذا الوادي يخفى وراءه أشياء غير طيبة!! إن فيه سراً أو أسراراً!

وجلس الجميع يستريحون وقد شعروا بالجوع، فأخرجت إلهام من حقيبة صغيرة معها بعض الحلوى والشطائر مما أعدته لهم والدتهم، وبعد أن أكل الجميع خرجت السحلية من فتحة من قميص أسامة، فأخذ يطعمها بعض الفتات ورأتها كيكي فصاحت: السحلية في البئر!

واختطفت كيكي قطعة كبيرة من الحلوى كانت فى يد طريف فصاح: كيكي! أعيدي إلى هذه الحلوى أين أدبك؟

فقالت كيكي: في داخل البئر!

وقال أسامة: يا ترى أين نجد ماء صافياً مثل ماء ذلك الجدول الذي شربنا منه؟

فقالت كيكي: في داخل البئر!

فقال طريف: إذاً فابحثي لنا عن بئر!

واستلقت أنسام على العشب وقالت: إلهام! هل هناك خطر إذا استلقينا قليلا هنا؟

فقال أسامة: لا! فلا أعتقد أن هذين الرجلين سيتسلقان الجبل ويصلان إلى هذا المكان.

وقالت أنسام، وهي مستلقية في مكانها: أنني أسمع صوتاً عجيباً يشبه خرير الماء.

وأنصت الجميع في سكون، فاستطاعوا أن يسمعوا صوتاً بعيداً يشبه صوت تدفق الماء، فقال أسامة: سأذهب أنا وطريف لنستطيع الأمر، فابقيا أنتما هنا.

ولكن أنسام قالت: إننا سنأتي معكما.

وهكذا استأنف أبطالنا الأربعة تسلقهم، وصوت تدفق الماء يزداد شدة ووضوحا. ودار الأطفال حول صخرة ناتئة فوجدوا أنفسهم فجأة أمام سبب الصوت ...!! فقد رأوا أمامهم شلالا هائلا، ورأوا الماء ينحدر من ارتفاع عظيم ويندفع بقوة أسفل الجبل، ويرتفع رذاذ دقيق يملأ الجو ويندى أوجه الأطفال، وظهرت هنا وهناك أقواس قزح تعكس ألوان الطيف الجميلة. وقال أسامة: يا له من منظر رائع! إني لم أرَ منظراً أحْلَى وأجْمَلَ من هذا المنظر!

واستخف المرح كيكي فانطلقت وهي تصيح مسرورة. ووقف الأطفال يستمتعون بروعة هذا المنظر وجماله وجلاله، وقالت أنسام: لقد كون الرذاذ المتطاير بركة من الماء الصافي، فهيا نشرب منها..

وبعد أن شربوا قال أسامة: لقد حان وقت العودة إلى الكوخ.

٥- ماذا يريد الرجلان؟

انطلق الأطفال فى طريق العودة، وكانت أنسام خائفة أن يضلوا طريقهم، ولكن أسامة وطريفا كانا منتبهين لتفاصيل الطريق. ولما وصلوا إلى الغابة ساعدتهم الندوب التي أحدثوها في الأشجار على تبين طريقهم، ورأي الأطفال الطائرة في مكانها، وخشوا أن يكون الرجلان في مكان قريب فأخذوا يسيرون بحذر. وأمر طريف كيكي بالسكوت، فقد كانت لاتزال تصيح وتغنى بأعلى صوتها وقد أثارها منظر الشلال وصوته. وأخيراً وصل الجميع إلى الكوخ، وقالت أنسام: أرجو أن تكون أشياؤنا كما تركناها.

ودخل الجميع الكوخ ووجدوا أشياءهم في مكانها كما تركوها وكانت الشمس قد مالت وأصبح الوقت أصيلا، فجلس الأطفال يتناولون بعض الحلوى والشطائر وقال طريف: هل فَرَغَ الطعام الذي وضعته والدتنا في الحقيبة الصغيرة؟

وانطلقت كيكي طائرة وهى تصيح مسرورة ، ووقف الأطفال
يستمتعون بروعة هذا المنظر .

فقالت إلهام: لا! مازال معنا مقدار من الطعام. يكفينا بعض الوقت، ولست أدرى ماذا نفعل عندما ينفد طعامنا!

فصاح أسامة، وكان يشعر بالجوع الشديد: إذا إلينا ببعض الشطائر، فإنها ستفسد إذا تركناها أكثر من ذلك، ويحسن أن نأكلها وهي مازالت صالحة للأكل.

فقالت إلهام: لا مانع من ذلك، ولكننا سنبقى الكعك والحلوى إلى غدٍ فإنها لن تفسد. والآن ... فلنهيئ مكاناً للنوم قبل أن يحل الظلام.

فقالت أنسام: إني لا أريد أن أنام فى هذا الكوخ، وأفضل أن ننام، خارجه، فالجو حار ويمكننا أن نستخدم الأغطية الخفيفة التي أحضرناها معنا وبعض ملابسنا وسائد فننام عليها.

وجلس الجميع يتناولون طعامهم بلذة بعد أن شعروا بالجوع الشديد، وقال طريف: أنني أعجب! ماذا يفعل هذان الرجلان هنا؟! لقد كف الدخان عن التصاعد! هل أتسلل إلى مكانهما متستراً بالأشجار لعلى أستطيع أن أرى ما يفعلان؟

فقال أسامة: حسناً!! وحَذارِ أن تَضِلَ الطريق! وكن يقظاً لئلا يراك أو يحس بك أحدهما.

فابتسم طريف: وقال إذا ضللت الطريق فأجعل كيكي تطلق إحدى صيحاتها التي تقلد بها صغير القطار، وعندئذ تعرفون مكاننا.

وصاحت إلهام خائفة: إذا سنَحَتِ لك الفرصة فانظر داخل الطائرة لعلك تجد بعض الطعام فتحضره إلينا.

وانطلق طريف فى طريقه وكيكي تجلس على كتفه. ونهضت إلهام التي كانت لا تحب أن تظل طويلاً بلا عمل وقالت: فلنهيئ مكاناً لننام فيه، مادامت أنسام لا تريد أن تنام في داخل الكوخ. هيا يا أنسام أخرجي بعض الملابس من الحقائب وهاتي الأغطية الخفيفة.

وبينما كان طريف فى طريقه إلى مكان الرجلين كان الثلاثة الآخرون يقومون بتهيئة مكان مريح للنوم تحت إحدى الأشجار الباسقة. وقالت إلهام لأسامة: ستنام في طرف المكان حتى لا تزحف هذه السحلية فوقى فى الليل.

فأخرج أسامة السحلية من قميصه وقال: إنها لن تؤذيك! إنها سحلية لطيفة! انظري إليها. وقرب أسامة السحلية من وجه الهام، فصاحت: ابتعد عنى وإلا ضربتك !!

وتدخلت أنسام قائلة: لا تضايقها يا أسامة، وأعطني السحلية قليلا، فإنها لطيفة حقاً.

ولكن السحلية أبت أن تستجيب لها واندفعت تختبئ فى قميص أسامة، وشعر الثلاثة بالتعب والقلق مع قدوم الليل، فصحبت إلهام أنسام إلى الجدول القريب من مكانهم حيث اغتسلتا في مياهه الباردة

فأحستا بالانتعاش، وجلستا على حافته تتأملان جمال الوادي والجبال التي تحيط به. وقالت أنسام: إن هذه الجبال تبدو كأنها تقترب منا شيئا فشيئاً حتى تطبق علينا...

فقالت إلهام: إنك تتخيلين أشياء لا وجود لها. هيا بنا لنعود إذ لا شك أن طريفاً على وشك العودة، وأريد أن أسمع ما سيقول.

وعادت الفتاتان فوجدنا أسامة قد استلقى تحت الشجرة وهو يتثاءب وقال لهما: لقد غبتما طويلا وكنت على وشك أن أذهب للبحث عنكم. إن طريفا لم يعد بعد.

فذهبت أنسام إلى صخرة مرتفعة ووقفت عليها تنظر إلى الوادي، ثم صاحت: هذا طريف مقبلا وكيكي معه.

وانطلقت تجرى نحوهما فطارت كيكي واستقرت على كتفها وتوجه الاثنان إلى حيث كان أسامة وإلهام، وقال طريف: يا له من فراش وثير! أنني فى غاية التعب.

ثم استلقى عليه والتف حوله إخوته وزحموه بالأسئلة ... وقال أسامة: ماذا رأيت يا طريف؟

فقال طريف: لم أر كثيراً، وقد اقتربت من الطائرة قدر ما استطعت، ولكنى لم أصل إليها خشية أن يراني أحد، فالطائرة تقف فى مكان مكشوف..

فسألته أنسام: وهل كانت كيكي طَيِّعَةً؟! لقد كنت أخشى أن تصيح فتكشف وجودك.

فقال طريف: لقد ظلت ساكنة طول الوقت، وقد رأيت الدخان يتصاعد مرة أخرى فاستعنت بالأشجار وأخذت أقترب من مكانه لعلني أصل إلى مكان الرجلين.

فسألته إلهام: وهل استطعت أن ترى الرجلين أو أحدهما؟

فأجابها طريف: لقد سمعت صوتهما أولا، فاستحسنت أن أتسلق إحدى الأشجار، وأستعين بنظارتي المعظمة؛ ولذلك أسرعت أتسلق شجرة مورقة لكى تخفيني فروعها وأوراقها. فلما وصلت إلى قمتها رأيت كوخا صغيراً وقد جلس بالقرب منه الرجلان يطهيان شيئاً على النار التي أوقداها مرة أخرى.

فقالت أنسام: ألم تخش أن يكشفا أمرك؟

فقال طريف: لا! فقد كانت فروع الشجرة وأوراقها تحجبني أنا وكيكي عن أنظارها، كما أننا لم يصدر عنا أي صوت. وقد نظرت إليهما من خلال نظارتي المعظمة ورأيتهما يفحصان ورقة كبيرة يخيلُ إلى أنها خريطة.

فقالت إلهام: خريطة!! يا ترى ما السبب؟! إنهما على أي حال يعرفان هذا المكان معرفة جيدة، ولولا أنهما يعرفانه لما استطاعا أن يصلا إليه ويهبطا بالطائرة بهذه السهولة.

وقال طريف: وقد سمعت أحدهما يشير إلى الخريطة ويقول: من هنا...! ثم نَتَّجِهُ إلى هناك . . .!، ويبدو أنهما سيقومان بجولة ليبحثا عن شيء أو شخص ما.

فقالت إلهام: إذاً نستطيع أن نتبعهما لنعرف ما يفعلان.

فقال أسامة: لا! ليس من الصواب أن نقتفي أثرها في هذه الجبال التي لا نعرف عنها شيئاً، ويحسنُ أن ننتهز فرصة خروجهما في جولتهما لنقوم بزيارة سريعة لكوخهما ولطائرتهما، فقد نجد شيئاً يفيدنا فى معرفة نوايا الرجلين.

فقالت أنسام وهي تغالب النوم: نعم! ويستطيع طريف أن يراقبهما بنظارته المعظمة، حتى إذا رآهما يبتعدان أخبرنا فنستطيع الذهاب إلى الكوخ ونحن مطمئنون.

وأكمل طريف قصته فقال: وبعد ذلك طوى أحد الرجلين الخريطة وأخذا يتكلمان بصوت منخفض كأنهما يتسامر ان، فنزلتُ عن الشجرة وأسرعتُ إلى هنا.

فقالت أنسام: دعونا لننام الآن فإن جفوننا ثقلت.

فقال أسامة لإلهام: لا تنزعجي إذا شعرت بالسحلية تجرى فوقك!

فصاحت إلهام وازدادت ابتعاداً عنه

٦- لقية عظيمة

أسفر الصباح وكان الأطفال ما يزالون يغطون في نومهم، ولكن كيكي قد استيقظت ووقفت على أحد فروع الشجرة تحدد النظر إلى السحلية التي كانت تجرى هنا وهناك فوق جسم أسامة. وفجأة صاحت بها كيكي: امسح قدميك! امسح قدميك!

فذعرت السحلية وقفزت من مكانها ووقفت فوق جسم وهي تنظر إلى الشجرة، وشعرت كيكي بضيق شديد عندما رأت السحلية تقف فوق جسم سيدها، فانقضت عليها تريد أن تنقرها، ولكن السحلية كانت أسرع منها فاختبأت تحت غطاء أسامة، فهبطت كيكي بقوة فوق طريف، ثم صوبت نقرة شديدة إلى ساعد أسامة حيث كان عليه بروز يدل على أن السحلية تقف هناك. ولكن السحلية كانت قد هربت أيضاً، فأصابت النقرة أسامة، فهب من نومه مذعوراً، وكذلك فعل طريف. ونظر كل منهما إلى الآخر في دهشة، وقال أسامة: لقد نسيتُ أين نحن!

وقال طريف: أهذه أنت يا كيكي!! خذي بعض الحبوب التي تحبينها ولا تتكلمي حتى لا تستيقظ إلهام وأنسام.

وأخذت كيكي بعض الحبوب فى منقارها وطارت إلى أحد الفروع مسرورة، وقال طريف: إني أحس بالنشاط بعد أن نمت وقتاً كافياً.

فقال أسامة: وأنا كذلك. ولو أني ما زلتُ أريد أن أنام...

ولكن طريفا كان قد استيقظ وتنبهت جميع حواسه، فمضى إلى الجدول ليغتسل، وهناك رأي الدخان يتصاعد عند كوخ الرجلين، فقال فى نفسه: لقد استيقظ الرجلان! يا ترى كم الساعة؟ ما الوقت الآن.؟! آه ... لقد نسيت أنْ أَمْلأَ ساعتي الليلة الماضية.

وبعد قليل استيقظت إلهام وأنسام، ودهشتا عندما وجدتا أنهما قد نامتا الليل كله نوماً عميقاً دون أن تتحركا. ونظرت إلهام حولها تبحث عن السحلية، فقال أسامة: إنها معي فلا تصرخي.

فقالت إلهام: سأذهب لأغتسل ثم نتناول إفطارنا، وأخشى ألا يكون لدينا طعام يكفينا.

وعندما عادت إلهام بدأ الجميع يتناولون طعامهم. ومن سوء الحظ أنه لم يكن لديهم إلا قليل من الكعك، وكانوا فى أشد حالات الجوع. وقالت إلهام: يجب أن نبحث عن حل لأزمة الطعام، حتى لو اضطررنا إلى أكل السحلية.

فقال أسامة: إنها لن تُشْبِعَ أحداً ...! أليس كذلك يا سحليتي؟ ما هذا؟

فقد سمع أسامة أصواتاً قادمة، فهب واقفاً وتبعه الباقون، وأسرعوا يخفون أشياءهم وحاجاتهم في أقصى أركان الكوخ، وقبعوا بجانبها تتلاحق أنفاسهم، ووضعوا أَيْدِيَهُم على صدورهم كأنهم يخشون أن تتحرك منها قلوبهم. وقال طريف هامساً: هل نسينا شيئاً فى الخارج؟

فقال أسامة: لا ا ولكنَّ الكلأ مضغوط فى المكان الذي كنا ننام فيه، وأرجو ألا يلاحظ ذلك.

ونظر أسامة من خلال أحد الشقوق فرأي الرجلين يصعدان في الجبل ببطء وهما يتحدثان، ومرا بالبقعة التي كان الأطفال نائمين فيها، وتجاوزاها، ولكن أحدهما نظر خلفه وقال لزميله شيئاً لم يسمعه أسامة، ثم عاد الاثنان أدراجهما. وقال الرجل وهو يشير إلى الحشائش المضغوطة: ما الذي فعل ذلك؟

فقال الرجل الثاني: لعل بعض الحيوانات كانت تنام هنا!

فقال عوض: إنها مساحة كبيرة تكفي فيلين لينامان عليها. هل نلقى نظرة حول المكان؟

فقال الرجل الآخر وهو ينظر فى ساعته: ليس عندنا وقت الآن فلدينا عمل كثير اليوم.. وواصل الرجلان سيرهما، فلما ابتعدا قال طريف: سأتسلق إحدى الأشجار وأراقبهما من خلال المنظار حتى نستوثق من ابتعادهما.

وأسرع طريف يتسلق شجرة عالية وأخذ يراقب الرجلين من خلال منظاره المعظم، حتى وصلا إلى ذلك المكان المعشوشب المغطى بالأزهار، ولكنهما لم يسيرا فى نفس الاتجاه الذي سار فيه الأطفال في اليوم السابق، بل واصلا سيرهما مسافة أخرى، ثم توقفا وأخرجا خريطة أخذا يفحصانها. فقال طريف فى نفسه: إنهما غير واثقين من الطريق.

وما لبث الرجلان أن انطلقا ثانية ثم أخذا يتسلقان الجبل صعوداً ودارا حول صخرة واختفيا ...! فأسرع طريف بالنزول، فقالت له إلهام: لقد ظننا أنك ستنام فوق الشجرة.

فقال طريف: لقد كنت أراقب الرجلين حتى اختفيا خلف بعض الصخور، ولكنهما لم يتبعا نفس الطريق الذي سرنا فيه أمس.

فقالت إلهام: يحسن بنا أن نذهب الآن إلى الطائرة لنفتشها.

وأسرع الأطفال الأربعة نحو الوادي حتى وصلوا إلى الطائرة فأسرعوا يصعدون إليها. وأخذ أسامة وطريف يفتشانها بحثاً عن طعام أو أوراق تدلهم على خطط الرجلين، ولكنهما لم يجدا شيئاً، وقال أسامة: لقد اختفى الصندوق الكبير الذي كنا نجلس خلفه، وأعتقد أنه كان فارغاً وإلا لما استطاعا أن يزحزحاه من مكانه.

وغادر الجميع الطائرة وطريف يقول: يبدو أننا سنهلك جوعًا.

ولكن إلهام قالت: هيا بنا إلى الكوخ، فلا بد أن نجد به طعاما ما دام طريف قد رأي الرجلين يطهيان طعامهما.

وسر الجميع لهذا الاقتراح وقادهم طريف إلى الكوخ، فوجدوه قديماً بدأ الزمن ينال منه، وقد ظهرت فيه بعض إصلاحات حديثة. وكان الباب مغلقا فدفعه طريف وقال: إنه موصد بالمفتاح. لماذا يغلقانه بالمفتاح وهما لا يعلمان بوجودنا؟ !

وكان للكوخ نافذة صغيرة مرتفعة فعاوَنَ طريف أسامة على الصعود إليها ليرى ما بداخل الكوخ. ولكن الضوء لم يكن كافيا فلم يستطع أسامة أن يرى شيئاً فى أول الأمر، ولكنه ما لبث أن قال: لقد بدأت أرى الآن بوضوح. هناك مائدة وبضعة مقاعد وحشيتان فوق الأرض .... ما هذا؟

فصاح الثلاثة الباقون: ماذا رأيت؟!

فصاح أسامة: رأيت أكداساً من عُلب الطعام...!! من كل صنف ونوع!! لقد كاد لعابي يسيل.

ولم يستطع طريف أن يتحمل ثقل أسامة أكثر من ذلك، فنزل أسامة وقال له طريف: ساعدني لكى أنظر من خلال النافذة. وحمل أسامة طريفا على ظهره، وكادت عينا طريف يخرجان من محجريهما لما رأي، ونزل عن ظهر أسامة وهو يقول: آه! لو لم يأخذ هذان الرجلان الكريهان مفتاح الباب معهما!

فقال أسامة: ومما يؤسف له أننا لا نستطيع الدخول من النافذة، فهي فوق أنها صغيرة فيها لوح واحد من الزجاج لا يمكنُ الدخولُ منه إلا إذا حطمناه: وإذا عاد الرجلان ووجدا الزجاج محطما عرفا أن في هذا المكان ناساً غيرهما.

وحمل أسامة طريفا على ظهره ، وكادت عينا طريف تخرجان
من محجريهما لما رأى

وظل الأطفال يحومون حول الكوخ فى غضب وغيظ ويأس.
وأخيراً قال طريف: يحسنُ بنا أن نعود إلى كوخنا ونخفى حاجاتنا خشية أن يعود الرجلان ويقوما بجولة تفتيشية. ولكنى أكره أن أترك كُلَّ هذا الطعام خلفي وأنا أكاد أموت جوعا.

ووقف أسامة ينظر إلى الباب غاضباً وقال: كم أود لو حطمتك. خذ هذه!...

وصوب ركلة شديدة إلى الباب أتبعها بأخرى. ولشد ما دهش الجميع حينما انفتح الباب فجأة، فقال طريف: يا لي من أبله!! إنه لم يكن مغلقاً بالمفتاح !!!

وقال أسامة: هيا إلى وليمة شهية!!!...

الفصل الثاني

١- كيكي تثرثر كثيرا

أسرع الأطفال يدخلون في الكوخ، ووقفوا ينظرون في سرور إلى صنوف من علب الطعام المحفوظ مرصوصةً فوق أرفف حول الجدران. وصاح طريف: إن هنا علبا فيها ما تشتهيه النفوس من الطعام! ... لحوم. فواكه. مشمش. أناناس وكمثرى وتفاح ... بماذا نبدأ؟

فقال أسامة: ينبغي أن تبقى العلب المصفوفة على نظامها وترتيبها، فنأخذ من العلب الخلفية ونترك الأمامية حتى لا يفطن الرجلان إلى حدوث شيء. كما ينبغي ألا نأكل شيئاً هنا، بل نأخذ ما نريده معنا.

فقال طريف: إنك على حق. وأرى أن نأخذ أكبر عدد من العلب نستطيع أن نحمله، فقد تطول مدة إقامتنا في هذا الوادي قبل أن نجد أحداً ينقذنا.

فقال أسامة: هذا صحيح. ومن الحكمة أن نأخذ كل ما نستطيع حمله. وهذه غرارات قديمة تتسع الواحدة منها لعشرات من تلك العلب. فلنملأ اثنتين.

ووقف أسامة فوق أحد المقاعد، وأخذ يمد يده إلى الصفوف الخلفية ويخرج منها العلب ويناول إخوته علبة بعد أخرى. فيضعونها في الغرارتين. وبعد فترة من الوقت امتلأت الغرارتان، ومازالت الأرفف مكدسة بالعلب. وقال أسامة: قبل أن ننصرف يحسنُ بنا أن نبحث فى الكوخ لعلنا نعثر على أوراق تكشف لنا عن هدف هذين الرجلين.

وقام الأطفال بتفتيش كل ركن فى الكوخ فلم يعثروا على شيء ووجد طريف آلة لفتح العلب فوضعها فى جيبه. وقال أسامة: يا ترى ماذا فعل الرجلان بذلك الصندوق الكبير الذي كان في الطائرة؟ إنني أريد أن أقوم بجولةٍ حَوْلَ الكوخ.

وقام الأطفال بجولة بين الأشجار المحيطة بالكوخ حتى وصلوا إلى مجموعة من الشجيرات المتكاثفة، فوجدوا فى وسطها ستة صناديق كبيرة. فقال طريف: إن هذه الصناديق كلها فارغة. فماذا يريد الرجلان أن يصنعا بها؟

فقال أسامة: من يدرى؟! إن من يحضر مثل هذه الصناديق إلى هذا الوادي المهجور لا بد أن يكون مجنونا!

فقالت أنسام فزعة: أهذان الرجلان مجنونان حقاً؟! وماذا نفعل إذا كانا مجنونين؟

فقالت أسامة: علينا أن نبتعد عنهما. هيا بنا لنغادر هذا المكان من فورنَا.

وحمل أسامة وإلهام إحدى الغرارتين فيما بينهما، وكذلك فعل طريف وأنسام. وساروا يتعثرون تحت ثقل الغرارتين حتى وصلوا إلى كوخهم، فأسرع طريف يتسلق الشجرة ويفحص المكان بنظارته المعظمة، ثم هبط ثانية، وقال: ليس هناك أي أثر للرجلين فهيا للطعام.

وجلس الأطفال يتناولون طعامهم بعد أن قرصهم الجوع وزَقْزَقَتْ عصافير بطونهم. ولما فرغوا من طعامهم استلقى أسامة وقد بدأ النوم يغالبه. وتسلق طريف الشجرة وهو يقول: سأراقب المكان بعض الوقت وأدير بصرى هنا وهناك مستعيناً بنظارتي المعظمة، فقد أرى الرجلين فى مكان قريب.

وقالت إلهام: يحسن أن نخفى هذه العُلَبَ الفارغة لئلا يعثُرَ عليها الرجلان.

والتقطت إحدى العلب، ولكنها ألفتها بسرعة وهي تصرخ، لأن السحلية اندفعت خارجة من العلبة، وأسرعت تختبئ فى ملابس أسامة! وعادت إلهام تلتقط العلب الفارغة وتدفعها فى أحد جحور الأرانب وكيكي ترقب ما يحدث في دهشة. فلما انتهت إلهام، طارت كيكي إلى

الجحر وبدأت تجذب العلبة الأخيرة بمنقارها، فصاحت أنسام تخاطب طريفاً: خذ كيكي معك فوق الشجرة!

فأطلق طريف صغيراً خافتاً من بين شفتيه فطارت كيكي إليه، وقالت إلهام: يحسن أن نبحث عن مكان نخفى فيه حقائبنا حتى إذا عاد الرجلان وقاما بتفتيش المكان لم يعثرا على شيء.. فهيا نخرج الحقائب من الكوخ.

وأخذت أنسام وإلهام تخرجان الحقائب، وكانت إلهام متذمرة لأن أسامة نائم ولا يساعدهما. وهبط طريف من أعلى الشجرة يقول: لا يظهر للرجلين أي أثر ...! أين نخفى هذه الحقائب؟

فقالت كيكي: فى داخل البئر!

ونظر طريف حوله ثم قال: لقد وجدنا مكانا نُخَى فيه حاجاتنا.

فسألته الفتاتان: أين؟

فقال طريف: أتريان تلك الشجرة العالية الكثيرة الورق ذات الفروع الكثيرة المتشابكة الممتدة على جوانبها؟ إننا نستطيع أن نخفى الحقائب بين هذه الفروع، ولن يخطر للرجلين أن يبحثا عنا أو عن الحقائب فوق الشجرة.

فقالت إلهام: كيف نستطيع أن نتسلق الشجرة ومعنا هذه الحقائب؟! إنها ثقيلة بالرغم من أنها ليست كبيرة.

فقال طريف: سأتسلق أنا الشجرة أولا. ثم أدلى لكما حبلا تَرْبِطَانِ طرفه حول مِقْبَضِ الحقيبة، وعندئذ أستطيع أن أجذبها إلى أعلى ... وبهذه الطريقة نستطيع أن نضع الحقائب فوق الشجرة.

فسارت إلهام نحو أسامة لكى توقظه حتى يقوم بنصيبه في العمل، ووضعت يدها على كتفه وهزته وقالت له: استيقظ أيها الكسلان، فقد وجد طريف مكانا أمينا لإخفاء الحقائب فتعال ساعدنا.

ونهض أسامة وهو يقول: حسناً!! سأصعد مع طريف إلى أعلى الشجرة لأرفع معه الحقائب.

وبدأ الأطفال يعملون وكيكي تراقبهم مسرورة.. وعندما أدلى طريف الحبل طارت وجذبته جذبة شديدة بمنقارها، فأفلت من يد طريف فصاح: كيكي! أيتها الشقية! لماذا فعلت ذلك؟

واضطر طريف أن يهبط إلى الأرض ثم أمسك الحبل وتسلق الشجرة ثانية، ولكن كيكي كانت تترقب الفرصة حتى إذا سنحت انقضت على الحبل فجذبته فوقع على الأرض! فصاح طريف غاضباً: كيكي! تعالى هنا !

وأقبلت عليه كيكي خائفة عندما سمعت صوته الغاضب، وضربها طريف وقال لها: ابتعدي عنى! اذهبي عنى! إني لا أريدك!

وطارت كيكي حزينة، ودخلت إلى الكوخ ووقفت على أحد العروق الخشبية بالقرب من السقف في ركن مظالم، وأخذت تكلم نفسها غاضبة حزينة. ولما انتهي طريف وأسامة من عملهما نظار طريف حوله من خلال نظارته المعظمة ثم صاح بأختيه: هيا اصعدا! إن الرجلين قادمان. هل تركا شيئاً؟

ونظرت الفتاتان نظرة عاجلة ثم أسرعنا تتسلقان الشجرة، وسُرْعَانَ ما وصلتا إلى حيث كان أسامة وطريف. ونظر الجميع إلى الأرض، ولكنهم لم يروا شيئاً فقد كانت الشجرة كثيفة الأوراق، وطَمْأَنَهم ذلك إلى أن الرجلين لن يستطيعاً رؤيتهم. وبعد قليل سمعوا صوت الرجلين اللذين أخذا يفتشان الكوخ وما حوله تفتيشاً دقيقا. وكان طبيعياً أنهما لم يجدا شيئاً. ولكن الأمر مازال يشغل بالهما، فقال الرجل الذي اسمه عوض: سأفتِّش هذا الكوخ ثانيةً.

ودخل عوض فى الكوخ مرة أخرى، وعندما رأته كيكي- وهي فى مخبئها - يعود إلى الكوخ شعرت بضيق فصاحت به: امسح قدميك! أقفل الباب!

فقفز الرجل فزعا وأخذ ينظر في جميع أركان الكوخ غير مصدق أذنيه. فلما لم يجد شيئاً نادى زميله وقال له: لقد سمعت صوتا الآن يأمرني أن أمسح قدمي وأقفل الباب!

فقال الآخر: هل جُنِنْتَ: يبْدُو أَنك مريض!

فقال عوض فى إصرار: إني سمعتُ ذلك الصوت.

فقال الآخر: كيف ذلك؟! أين عقلك؟

فصاحت كيكي: فى داخل البئر! أين منديلك؟

وفزع الرجلان فزعا شديداً لهذا الصوت الذي ينبعث فى الكوخ المُعْتِمَ ومَبْلَغ علمهما أنه ليس فى هذا المكان أحد. وأمسك كل منهما بالآخر فى خوف ورعب شديدين. ثم قال عوض: فَلتلزم الهدوء ولننصِتُ إنصاتاً شديداً!

وسمعت كيكي كلمة الهدوء - فانطلقت تصيح بأعلى صوتها: هش ش ش ش!

وكان هذا أكثر مما يحتمل الرجلان، فانطلقا هاربين من الكوخ.

٢- خطط جديدة

استخف الفرح كيكي عندما رأت الرجلين يخرجان مذعورين فأخذت تصيح بهما: أقفل الباب! أقفل الباب !!، حتى ابتعدا عن الكوخ، فتوقفا عن الجري وقال عوض: ماذا تستنبط من ذلك؟! نسمع صوتاً ولا نرى أحداً!

فقال الآخر: مادام هناك صوت فلا بد أن يكون هناك شخص ما. وأخشى أن يكون أحد قد سمع بأمر الكنز فجاء يزاحمنا فيه.

وكان الرجلان يقفان تحت الشجرة التي يختبئ فى فروعها الأطفال، فأرهفوا آذانهم: كنز!! عرفنا السبب .... الكنز هو الذي دفع هذين الرجلين إلى هذا المكان. وقال عوض: يبدو يا فرج أنك قد فَقَدْت قوة أعصابك عندما سمعت ذلك الصوت. ولا يبعد أن يكون صوت ببغاء تتكلم...

فسخر فرج من فكرة عوض، واقترح أن يقوما بتفتيش الكوخ مرة أخرى. وعاد الاثنان إلى الكوخ، ووقف عوض ببابه في حذر وصاح: اخرج من الكوخ! هذه هي فرصتك الأخيرة !

ولكن أحداً لم يخرج لأنه لم يكن في الكوخ أحد.. وخافت كيكي من الصوتِ الغاضب فلم تقل شيئاً وكان ذلك من حسن حظها. وأخرج عوض مسدساً من جيبه وأطلق رصاصة، فأحدثت في هذا الجو الصامت دَوِيًّا شَدِيداً، وكادت كيكي تقعُ مِنَ الخوفِ. وكاد الأطفالُ يَسْقُطُون من فوق الشجرةِ مِنَ الذَّعْرِ الشديد الذي أصابهم من صوتِ الرصاصة ... أطلق عوض رصاصةً أخرى، ثم أخذ يَتكلَّم مع فرج بضع لحظاتٍ وسارا بعد ذلك مُتَجهَيْن مَرَّةً أخرى نحو الشجرةِ الضخمة التي يَقْبَعُ فوقها الأطفال. وكان طريف قد استولت عليه حالة شديدة من الجزع والقلق جميعاً خَشْيَةَ أن تكونَ كيكي قد أُصِيبَتْ أو قُتِلَتْ. وسمعَ الأطفال عوضاً يقول لزميله فرج: لست أدرى مَنِ الذي كان يَتكَلم، ولكنى واثق أَنَّ شخصاً من الأشخاص كان يختبئ هنا، ولا شك أنه كان يَتَجَسَّسُ علينا.

فقال فرج: هل تعتقد أنه إذا كان هناك مَنْ يَتَجَسَّسُ علينا فهل كان يَكْشِفُ لنا عن وجودِهِ وَيُثْرِثُ بمثل ذلك اللغو: امسح قدميك! وأين منديلك؟

فقال عوض: أنني أود أن أقوم بتفتيش هذه المنطقة كلها، ولكن الظلامَ يَزحَفَ على الكون وبعد قليل يلفه لفا. وأنا أشعر بجوع شديد فليس في استطاعتي أن أتابعَ البحث، وسأعودُ غَداً لأفتش المنطقة كلها.

وسار الرجلان مبتعدين وتساق طريف الشجرة حتى استطاع أن يرى الطائرة فى مكانها. فلما رأي الرجاين يصلان إليها نزل وقال لإخوته: لقد وصلا إلى مكان الطائرة وزال الخطر علينا، يا ترى ماذا حدث لكيكي؟

فقال أسامة: يُخَيَّلُ إِلَيَّ أنها تكادُ تَموتُ من الرعب، أَلَا تَعْلَمُ أنَّ السحلية نفسها انطلقت من جيبي واختفت عندما دَوَّى صوت الرصاص.

وذهب الأطفال الأربعة إلى الكوخ، وكانت كيكي لا تزالُ في مكانها خائفةً، فناداها طريف فهبطت على كتفه وهي تُحْدِثُ أَصْوَاتاً كثيرة تعبر عن ارتياحها لعودته. وقالت أنسام: ماذا نفعل فى هذه الليلة؟ وأين ننام؟

فقالت إلهام: أعتقد أن هذا المكان لم يعد آمنا لنبيت فيه.

وقال أسامة: هناك بعض الشجيرات المتكاتفة، ونستطيع أن نَتَسَاق الجبل مسافة أخرى لنصل إليها. وهي تصلح لمبيتنا، ولكن أتعرفون أي شيء نسيناه فى الكوخ عندما تسلقنا الشجرة؟! لقد نسينا الْفِرَارَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بهما علَبُ الطعام.

فصاح طريف: أواه!! من حسن حظنا أن الرجلين لم يفطنا إلى أن فيهما شيئاً، ويجب أن نأخذها معنا إلى مخبئنا الجديد.

وأخذ الأطفال الغرارتين إلى المخبأ الجديد خلف مجموعة الشجيرات، ثم أخذوا يتناقشون فيما يجب عليهم عمله بحقائبهم، وأخيراً استقر رأيهم على ترك الحقائب فى مكانها بين فروع الشجرة بدلا من حملها والسير بها. وبالرغم من أن الظلام قد بدأ ينتشر فقد استطاعوا إحضار أغطيتهم الخفيفة، وذهبوا لينام. وقالت إلهام: عرفنا ما سنفعله الليلة. وماذا نَفْعَلُ فى الليلة القادمة؟ ثم إن هذين الرجلين سيفتشان خلف هذه الشجيرات أيضا، فلن يتركا مكانا من غير أن يفتشاه تفتيشاً دقيقا

فقال أسامة: أتذكرون الشلال؟ أنني أعتقد أن حولَهُ أماكنَ كثيرة بين الصخور المحيطة به تصلح مخابئ لنا. ونستطيع أن نذهب لكشف ذلك المكان.

فقالت أنسام: نعم! أنني أحب أن أعود إلى ذلك الشلال..

وتهيأ الجميع للنوم، وفجأة قفزت إلهام واقفة وهي تصرخ، فجعلت الباقين يقفزون فى فزع ورعب، وصاح طريف: ماذا حدث؟

فقالت إلهام: هناك شيء يجرى فوقى، ويبدو أنه فأر أو شيء يشبه الفأر!

وقال أسامة مسروراً: لا داعي لهذه الضجة! إنها السحلية قد عادت إلينا بعد أن فرَّتْ عندما سمعت صوت الطلقات النارية، وقد استقرت فى جيبي الآن، فلا تخافي!

وكانت كيكي قد أثارتها هذه الضجة فانطلقت تلقى نصائحها على الجميع: أقفل الباب! افتح كتابك صفحة ٦! ضع البراد على النار!

فصاح بها طريف: كفى يا كيكي اكفى!! إننا نريد أن ننام فى هدوء!

فانطلقت كيكي تقول: هش ش ش ش!

ونام الجميع ماعدا طريفاً فإنه أخذ يقول في نفسه: لقد وعدنا والدتنا ألا نعرضَ أنفسنا للأخطار وألا نندمج في مغامرات أخرى، ولكننا وجدنا أنفسنا فى طائرة غريبة أحضرتنا إلى هذا الوادي المنعزل مع رجلين يبحثان عن كنز!! فياله من شيء غريب!... حقا...! إنه.. شيء...، وغلبه النوم كما نام إخوته، وبزغت النجوم ترضع السماء وترسل ضوءها الباهت الضعيف على الأطفال حتى أقبل الفجر من المشرق، فأطفأ النجوم واحدة بعد أخرى، واستيقظ أسامة مبكراً، فقد كان يخشى أن يأتي الرجلان مبكرين ليفتشا المكان، وأيقظ إخوته، ولكن إلهام لم تكن تريد أن تستيقظ، فقال لها: هيا انهضي، وإلا تركت السحلية تجرى فوقك!

فاضطرت إلهام أن تستيقظ وحاولت أن تصفع أسامة، ولكنه راغ منها، فأصابت الضربة كيكي، فأخذت كيكي تصيح دهشة وحزنا، وطارت خَشْيَةَ أن تصاب بضربة أخرى ...! وأخذت إلهام تناديها وقد أحزنها أن الضربة أصابت كيكي وقال طريف: هيا نسارع إلى تناول إفطارنا، إذ يظهر أن الرجلين عوضا وفرجا قد استيقظا أيضا.

ورأي الجميع الدخان يتصاعد من المكان الذي فيه كوخهما، فأسرعوا يلْتهمون إفطارهم، فلما انتهوا منه قال أسامة: من الأفضل أن نجد مكانا نخبئ فيه هاتين الغرارتين بدلا من حملهما طول الوقت ويكفى أن نأخذ ما نحتاج إليه في هذا اليوم فقط.

فقالت إلهام: ألا نستطيع أن نضعهما بين هذه الشجيرات المتكاثفة؟ إن أحداً لن يخطر له أن يبحث عن شيء في هذا المكان، ونستطيع أن نعود لنأخذ ما نريده كلما احتجنا إلى شيء.

وأسرع الأطفال يخفون الغرارتين اللتين فيهما علب الطعام بين الشجيرات فلم يعد يظهر منهما شيء. وجمع الأطفال حاجاتهم وانطلقوا في طريقهم إلى الشلال، فلما وصلوا إلى ذلك المكان الذي يكسوه العُشْبُ والكَلأ، وتنتشر فى نواحيه الأزهار، جلسوا يستريحون قليلا.

وقال طريف: فلنلتمس بعض الراحة، إذ ليس من المحتمل أن يكون الرجلان قد بدأ جولتهما التفتيشية الآن.

وفجأة رأي أسامة شيئاً يومض عن بعد، فلما تبينه صاح بإخوته : انتطحُوا أرضاً!

فطرح الجميع أنفسهم على الأرض، وقال أسامة: إن أحد الرجلين معه منظار معظم وهو يراقب سفح الجبل، وقد رأيت وميض العدسات عندما سقطت عليها أشعة الشمس. هيا نزحَفُ لنختبئ خلف هذه الصخرة حتى لا يرانا، ونستطيع أن نتابع سيرنا إلى الشلال.

٣- مخبأ أمين

عندما صار الأطفال خلف الصخرة شعروا أنهم قد أصبحوا في مأمن من أن يراهم أحد الرجلين. ونظر أسامة حوله واختار طريقا تخفيه الصخور عن أعين من يكون فى الوادي، وقال: تعالوا: من هذا الطريق.

وتبعه إخوته وأخذوا يصعدون في سفح الجبل حتى وصلوا إلى النتوء الذي ساروا عليه من قبل عندما زاروا الشلال لأول مرة، وداروا حوله، فإذا هم أمام الشلال مرة أخرى، فوقفوا يتأملون رَوْعة. المياه الزاخرة وهي تتدفق فى قوة عظيمة. وقالت إلهام: أليس هذا المنظر رائعاً؟! أنتابع الصمود أم نهبط إلى أسفل حيث نختبئ بين الصخور؟!

وأخذ الجميع يتناقشون: أي الطرق يتخذون؟! أيواصلون التسلق في الجبل إلى أعلى الشلال؟ أم يهبطون إلى السفح لعلهم يجدون مخبأ بين الصخور التي تحيط بالمكان الذي يسقط فيه ماء الشلال؟

وأخيراً قالت إلهام: لقد صَعَدْنَا إلى أعلى بالأمس، فَلْنَهبِطِ اليوم

فقال طريف: إن الصخور فى أعلى الشلال لا تصلح للمشي فوقها، ونحن نحمل حاجاتنا وأخشى أن تنزلق إذا سرنا عليها.

فقال أسامة: حسنا؟ فلنواصل سيرنا نحو الشلال حتى نقترب منه. وعندئذ نتخذ لنفسنا طريقاً.

وأخذ الأطفال يسيرون مقتربين من الشلال وصوت انحدار المياه يزداد ارتفاعا .... وكلما ازداد قربهم من منحدر الماء تطاير الرذاذ وسقط فوقهم مكونا غلالة فضية براقة فوق شعورهم. ولما وصلوا إلى صخرة مستوية وقفوا عليها يتدبرون أمرهم. وقال طريف: لو أننا وجَدْنا مخبأ هنا لأصبحْنَا فى أمان، فإن هذين الرجلين لن يخطُرَ ببالهما أن يبحثا عنا هنا.

وأخذ الجميع يتلفتون حولهم لعلهم يجدون كهفا يختبئون فيه، أو مجموعة من الصخور يمكنهم الاختفاء خلفها. ولكن أنسام لم تكن متحمسة لهذه الفكرة، وقالت: أنا أشك فى أنني أستطيع أن أتحمل سماع

هذه الضجة الشديدة طول الوقت. إن صوت سقوط المياه المتدفقة يملأ أُذُنَيَّ ويجعلني أحس كأن رأسي يدور.

فقال طريف: عليك أن تتحملي هذا الصوت، وبعد قليل ستجدين أنك قد ألفته واعتدت أن تسمعيه.

ولكن أنسام لم تقنع بذلك الكلام، فقد كانت واثقة أنها لن تستطيع النوم وذلك الصوت المدوي لا ينقطع. وقالت إلهام: إنها ليست فكرة ممتازة على أية حال، فإن حاجاتنا ستبتل بعد وقت قصير بسبب ذلك الرَّذَاذِ الخفيف المتطاير. ويحسن أن نبحث عن مكان آخر.

وأخذ الأطفال يتجولون حول الشلال دون أن يقتربوا كثيراً من الصخور المبتلة على حافة الشلال خشية أن ينزلقوا. وكان طريف قد تسلق بعض الصخور فوجد شجرة ضخمة ذات فروع مرنة لينة كأنها الخيزران، فجذب فروعها جانبا ليرى ما إذا كانوا يستطيعون الاختباء خلفها . . . ونظر فوجد كهفا خلف تلك الفروع الخضراء، وقال في نفسه: إن هذه الفروع تحجب الكهف عن العيون، وتمنع رذاذ الماء من الدخول إليه أيضاً. وصاح مسروراً ونادى إخوته، ولكنهم لم يسمعوه لأن خرير الماء كان أعلى من صوته. فدخل هو إلى الكهف فوجده متسماً فسيحاً تغطى أرضه أعشاب خضراء ناعمة، فتحسسها فلم يجدها مبتلة. فقال: لعل الرذاذ يتطاير إلى داخل الكهف عندما تسقط أوراق

الشجرة فى الخريف فتبتل الأرض وينبت العشب والكلأ. ووجد نتوءا بارز بجوار حائط الكهف. فقال: وهذا يشبه الرَّفَّ، ونستطيع أن نضع حاجاتنا عليه.

وكان إخوة طريف قد افتقدوه وأخذوا ينادونه بأعلى صوتهم، فأطل برأسه من بين فروع الشجرة، ورأته إلهام وكيكي فصاحت كيكي وطارت إليه وقالت إلهام: انظرا أين طريف!

وصاح طريف بأعلى صوته: هيا اصعدوا إلى هنا ... لقد وجدت مخبأً عظيماً.

وأسرع الثلاثة يتسلّقون الصخور حتى وصلوا إليه، فأزاح طريف فروع الشجرة جانباً وانحنى وقال لهم بأدب: تفضلوا إلى حجرة الاستقبال...!

ودخل الجميع إلى الكهف وقال أسامة: يا له من مكان بديع! إن أحداً لن يستطيع العثور علينا فيه.

وقالت إلهام: إن على الأرض بساطاً أخضر لينا ... إنه من الكلأ الأخضر النَّضِير.

وقالت أنسام: إن هدير مياه الشلال ليس شديداً هنا ... إننا نستطيع أن يسمع بعضنا بعضاً ونحن نتكلم.

وكان الإخوة كلهم مسرورين لعثورهم على هذا الكهف عن طريق الصدفة. وكانت إلهام تحب أن تكون جميع أشيائها منظمة مرتبة، فقالت: هيا بنا نذهب لإحضار حاجاتنا إلى هنا حتى نرتبها، وسأضع علب الطعام على هذا الرف الصخري...

وذهب أسامة إلى مدخل الكهف، وأزاح بعض فروع الشجرة فتدفق نور الشمس إلى الكهف، فقال: إننا نستطيع أن نربط هذه الفروع هكذا حتى تضئ أشعة الشمس الكهف، ونستطيع من هنا أن نطل على منظر رائع للشلال، كما نستطيع أن نراقب المكان الذي حولنا كله، فإذا جاء أحد الرجلين أمكننا أن نراه ولا يرانا. إنه مكان رائع !!

وقالت أنسام: إنه مكان جميل آمن ولا يزعجني أن أقضي فيه بعض الوقت.

فقال أسامة: أخشى أننا قد نضطر إلى قضاء وقت طويل هنا.

وجلس الأطفال على أرض الكهف المغطاة بالأعشاب الخضراء، يتحادثون وينظرون إلى الشلال، حتى إذا استراحوا قاموا وتسلقوا الصخور هابطين ليحضروا حاجاتهم التي تركوها بجوار الشلال. فلما عادوا بها إلى الكهف أخذت إلهام تنظمها وترتبها وتضع علب الطعام المحفوظ فوق الرف الصغرى فى نظام جميل وتنسيق بديع، وكأنما شعرت

كيكي بفرحة الأطفال وسرورهم، فانطلقت تثرثر: قطة قطيفة لطيفة! قطة قطيفة لطيفة! ضع البراد على النار !

وكان الأطفال قد بدءوا يشعرون بالجوع، وأخذوا ينظرون إلى علب الطعام التي نسقتها إلهام على الرف الصخري. وأخرج طريف فتاحة العلب من جيبه فقال له أسامة: احرص على هذه الفتاحة فإنها أهم مقتنياتنا هنا، وبدونها لن نستطيع فتح العلب.

فأخذ طريف يفتح بعض العلب وهو يقول: لا تخف فلن أضيعها.

وأخذت كيكي تراقبه وقد أمالت رأسها على أحد الجانبين، فقد كانت تحب تلك العلب لأنها لاحظت أن بها أشياء لذيذة دائماً وجلس الجميع يأكلون، وقال أسامة: إن العلب التي هنا لن تكفينا غير يوم واحد، وعلينا أن نذهب لإحضار الغرارتين اللتين وضعناهما بين الشجيرات، فهل تستطيعان البقاء هنا وحدكما وأذهب أنا وطريف لإحضارهما.

فقالت إلهام: نعم! سنبقى هنا. ويمكنكما ترك كيكي معنا لكي تَحْرُسَنَا.

٤- كهف الصدى

وفى أصيل ذلك اليوم قرَّرَ الأطفال أن يأتوا بعلب الطعام التي أخفَوْهَا بين الشجيرات فقال أسامة: يحسن بنا أن نذهب الآن، ويجب علينا أن نأخذ حذرنا، إذ من الجائز أن يكون الرجلان قد انطلقا للبحث عنا!

وأحست إلهام بالسرور لأنها لن تذهب معهما فقد كانت تشعر بشيء من التعب، فاستلقت على الأرض المكسوة بالعشب، وأخذ طريف نظارته المعظمة معه وقال لأنسام: خذي كيكي واحرصي على ألا تتبعني.

وكانت كيكي تقف على كتف أنسام في تلك اللحظة، فأمسكت أنسام بساقيها وخرج طريف مع أسامة من الكهف، وحاولت كيكي أن تتبعهما، ولكنها لم تستطع أن تفلت من أنسام، فأخذت تصيح وتثرثر: أقفل الباب!! الجرس يدق يدقُ! كيكي داخل البئر!

فلما اختفى أسامة وطريف عن الأنظار تركت أنسام كيكي فطارت خارج الكهف ووقفت فوق صخرة تبحث عن طريف. ولما لم تجده عادت إلى الكهف حيث كانت أنسام جالسة وكانت إلهام نائمة على ظاهرها وفمها مفتوح. فذهبت كيكي إليها وأمالت رأسها على أحد

الجانبين ونظرت فى فم إلهام المفتوح ثم انتزعت عوداً من العشب بمنقارها. فصاحت بها أنسام: كيكي! إياك أن تضعي هذا فى قم إلهام !

فصاحت كيكي غاضبة: امسح قدميك! أين منديلك ! ثم طارت إلى مؤخرة الكهف وهي تثرثر وتزمجر.

ووجدت أنسام أن الشمس ملأت الكهف، فرفعت حرارة الجو...! فجذبت الخيط الذي يربط أغصان الشجرة فعادت إلى مكانها وحجبت أشعة الشمس عن الكهف وسادَتْهُ العتمة. فاستلقت أنسام بجانب إلهام وأخذت تفكر فى كل ما وقع لهم من حوادث غريبة . . .! وكان صوت تدفق مياه الشلال يصل إلى سمعها خافتاً بسبب كثافة أغصان الشجرة التي تسد مدخل الكهف. ونادت أنسام كيكي قائلة: كيكي! تعالى هنا!

ولكن كيكي لم تذهب إليها. فعادت أنسام تصيح: كيكي !تعالى هنا أيتها الحمقاء.!. لم يظهر أثر لكيكي، ويبدو أنها كانت غاضبة لأن طريفا وأسامة لم يأخذاها معهما. ومع ذلك فإنه كان من عادتها أن تجيب من يكلمها ولو كانت غاضبة. نهضت أنسام وتناولت بطاريتها وأخذت تبحث عن كيكي فى جميع أنحاء الكهف. فلم تعثر لها على أثر البتة. وكان من المؤكد أنها لم تغادر الكهف. فأغصان الشجرة تَسُدُّ مدخل الكهف ولم تترك فيه ثغرة تخرج منها كيكي.

وشعرت أنسام بالقلق من أجل كيكي، فذهبت إلى إلهام وأيقظتها. فجلست تفرك عينيها ونقول: ماذا حدث؟! لماذا أيقظتني؟

فقالت أنسام: لقد اختفت كيكي ا وقد بحثت عنها فى كل أنحاء الكهف فلم أجدها.

فقالت إلهام: لابد أنها خرجت خَلْفَ أسامة وطريف.

وبدأت إلهام تعود إلى النوم، ولكن أنسام قالت: لقد كانت فى مؤخرة الكهف ثم اختفت فجأة!...

فصاحت الهام: دعيها تختفى، فإنها ستعود بعد حين من تلقاء نفسها. والآن اتركيني لأنام.

فتركتها أنسام وعادت إلى مؤخرة الكيف، وكان هناك تَعَرُّج في الصخور، واقتربت أنسام من هذه التعرجات ونظرت لعلها تجد كيكي مختفية فى أحد التعرُّجات، وسلَّطَتْ ضوء بطاريتها على ذلك المكان وأخذت تفحصه ... وفجأة لاحظت وجود فتحة فى الصخر، فتحققت أن كيكي لا بد أن تكون قد دخلت فيها. وكانت الفتحة مرتفعة قليلا، فتسلقت أنسام الصخور ودخلت فى الفتحة زاحفة على بطنها، فوجدتها تؤدى إلى سِرْدَاب يمتد فى الصخر متجهاً إلى أعلى قليلا. وصاحت أنسام: كيكي!! كيكي!! أين أنت أيتها الغبيه؟ ولكنها لم تسمع كيكي تردُّ عليها. فعادت تنادى: كيكي! كيكي! ومرة أخرى لم تتلق رداً على

ندائها. وتنبهت أنسام إلى أن صوت هدير الماء لم يعد يصل إليها وهي منبطحة فى داخل ذلك السرداب، وعادت تنادي: كيكي!! كيكي!

وسمعت إلهام صوت أنسام وكأنها تحلم وهي نائمة، فاستيقظت ونهضت جالسة، ولكنها لم تجد أنسام بجوارها، وكان الكهف مظلماً وتعجبت إلهام .... يا ترى!! أين ذهبت أنسام؟! ثم تذكرت ما قالته لها أنسام عن اختفاء كيكي، فشعرت بالقلق لاختفاء أنسام كذلك فتناولت بطاريتها ونهضت تفتش الكهف حتى وصلت إلى نهايته، وأخذت تفحص تلك التعرجات. وفجأة رأت قدمين تبرزان من فتحة مستديرة فى الصخر وتبينت فيهما قدمي أنسام فجذبتهما صائحة: أنسام! ماذا تفعلين فى هذا السرداب؟! ما الذي جعلك تدخلين فيه؟

فقالت أنسام: لقد عثرتُ عليه عن طريق الصُّدْفَةِ. وأعتقدُ أن كيكي دخَلَتْ فيه. فهل أُوَاصِلُ الزحف فيه لأبحث عنها وأنت تتبعينني؟

فقالت إلهام: حسناً! تقدمي إلى الأمام!

فأخذت أنسام تزحف إلى الأمام وتبعتها إلهام، وظلت أنسام تُوَاصِلُ زَحْفها وفجأة اتَّسع السرداب، وبعد لحظات رأت أنسام على ضوء بطاريتها كهفاً آخر عند نهاية السرداب، فأسرعت إليه وصاحت: كيكي!

وفى الحال سمعت أنسام صوتها يتردد فى أرجاء الكهف: كيكي! كيكي! كيكي! ولم ترتح أنسام لهذه الأصوات، فقالت: أسرعي يا إلهام!، وتردد صدى صوتها: أسرعي يا إلهام! إلهام! إلهام !

وطارت كيكي من مكانها إلى كتف أنسام وهي تصيح: كيكي داخل البئر!! وتردَّدَ صوتها: كيكي! كيكي! داخل البئر! البئر! البئر:!

وفزعت كيكي فأطلقت صيحة خوف، فامتلأ الكهف بصيحات الخوف. ودهشت كيكي لوجود هذا العدد الكبير من الببغاوات التي لا تستطيع أن تراها. ووصلت إلهام إلى الكهف فقالت: بالَهُ من مكان كبير! وفى الحال امتلأ الكهف بصدى صَوْتها: كبير! كبير! كبير!

فقالت أنسام: إِنَّ أي شَيء قوله يتردد ثانية. إنه شي مزعج ... مزعج! مزعج! مزعج!

فقالت إلهام هامسة: فلنتكلم همساً. وفى الحال امتلأ الكهف بهمسات خافتة غامضة أزعجت الفتاتين أكثر مما فعلت الصيحات العالية. فقالت إلهام: إنه صدى أصواتنا. يُخَيَّلُ إلى أننا في مكان لم تَطأهُ قَدَمُ إنسان قبلنا فتعالَىَ يا أنسام لنقوم ببعض الاستكشافات حتى يعود أسامة وطريف.

وقالت أنسام : .... كيكي! تعالى هنا حتى لا نفقدك!....

وأخذت الفتاتان تسيران بطء حول الكهف وصدى وقع أقدامهما يتردد ويملأ المكان، وحدث أن عَطَسَتْ إلهام فذعِرَتِ الفتاتان جداً عندما ترددت أصوات الانفجارات المتعاقبة فى أنحاء الكهف. وقالت أنسام: إلهام! لا تعطسي ثانية أرجوك! وظلت الفتاتان تسيران حتى وصلتا إلى ممر بين الصخور فى أحد جوانب الكهف، فصاحت إلهام: انظري يا أنسام! يا ترى إلى أين يذهَبُ هذا الممر؟

فقالت أنسام: تذكري أن الرجلين يبحثان عن كنز ولعله مُخبأ فى مكان ما فى هذه الجبال ... كيكي تعالى هنا لا نفقدك!

فطارت كيكي إليهما وانطلقتا وضوء بطاريتهما يضئ لهما الطريق.

٥ - خلف الشلال

ظلت إلهام وأنسام تسيران في الممر المتعرج فوق أرض غير مُسْتوِيَةٍ فأخذتنا تتعثران، ولكنهما استمرتا في سيرهما. وفي أحد الأماكن انخفض سقف الممر حتى اضطرتا إلى السير على اليدين والرجلين، ولكن السقف ارتفع ثانية بعد مسافة قصيرة جداً. ووصل إلى سمعهما دَوِى صوت عميقٍ مستمرٍ لا يتوقف، فقالت إلهام: ما هذا الصوت؟! كأنه صَوْتُ نار تتأجج!

وقالت أنسام: لستُ أحب أن أرى ناراً تتأجج في جوف الجبل. هيا بنا لنعود.

ولكن إلهام قالت: نعودُ! إننا لم نكشف شيئاً قبل هذا، ويسبقنا أسامة وطريف دائما، وسيضحكان منا إذا علما أننا تراجعنا وخفنا. وربما استطعنا العثور على الكنز، ويمكنك الرجوع وحدك إذا شئت.

فاضطرت أنسام أن تُوَاصِلَ سَيْرَهَا مع إلهام ودوى الصوت يزداد ارتفاعا. ثم أدركت الفتاتان أنه صوت الشلال، وصاحت إلهام: إننا لا نتوَكَّلُ في جَوْفِ الجبل. إننا في طريقنا إلى الخارج بالقُرْبِ من الشلال.

وبعد الانحناءة الأخيرة للممر رأت الفتاتان ضوء النهار أمامهما، ورأتا المياه الزاخرة تتدفق بقوةٍ من مكان غير بعيد عنهما. وصاحت إلهام: لقد وصلنا إلى نتوء مُسَطَّح خلف الشلال. انظري إلى الماء الذي يندفع بقوة. وانظري إلى الأضواء والألوان المنعكسة.

ووقفت إلهام وأنسام مأخوذتين بروعة المنظر. وقفتا تملآن أعينهما بمنظر تلك الستائر المائية العظيمة المسدلة دائماً أمام فتحة الممر الذي كشَفَتاه.

وقالت إلهام: فلنبق هنا حتى إذا رأينا أسامة وطريفا عائدين أشرنا لها ليريانا، وسَيَدْهشان جداً عندما يريانا في هذا المكان خلف الشلال، لأنه لا يمكن الوصول إليه من أعلى أو من أسفل، بل السبيل إليه هو

ذلك الممرُّ الذي كشفناه. فقالت أنسام: إنها ستكون مفاجأة لهما! انظري! إننا نستطيع أن نرى كهفنا من هذا المكان، أو على الأقل نَستطيع أن نرى الشجيرة التي تظللُ مَدْخَلَه ونستطيع أن نرى أسامة وطريفاً من غير عَنَاء عندما يعودان.

وكانت كيكي فى خلال ذلك ساكتة وقد أدهشتها هذه المياه المتدافعة، وذلك الصوت القوى، وقالت أنسام: أرجو ألا تندفعَ كيكي لتمرَّ خِلالَ الماء فيجرفها معه.

فقالت إلهام: إنها لَيْسَتْ حمقاء كما تتوهَّمِينَ، وهي تعلم جيداً ما يضرها وما ينفعها. إنها قد تطير من الجانب من حول الماء فلا يحدث لها شي..

وظلتا جالستين في مكانهما تستمتعان بمشاهدة المنظر الذي أمامهما، وبعد مُضى بَعْض الوقت صاحت أنسام: انظري! هذان هما أسامة وطريف! إنهما يحملان بينهما غرارة! سيكون لدينا طعام كثير.

وظلتا تراقبان الصبيين فترةً وفجأة قالت إلهام: انظري! إن هناك أحداً يتبعهما! إنه أحد الرجلين. وهذا هو الرجلُ الآخر أيضاً وأسامة وطريف لا يدريان أن الرجلين يتبعانهما وسيعرفان مخبأنا الآن.

وذهبت إلهام إلى حافة النتوء وأخذت تصيح: أسامة! طريف! أسامة! انظرا خلفكما!

وظلت إلهام تنادى وتُشير إليهما غير مُنتَبهَة إلى أن الرجلين يستطيعان رؤيتها أيضاً. وظل أسامة وطريف فى طريقهما وهما مشغولان بِحِمْلِهِمَا النقيل، فلم يسمعا أو يريا إلهام، ولكن أحد الرجلين رآها وقال لزميله: انظر! ألا ترى شخصا خاف الشلال! يا له من مخبأ! ولكن كيف يصلون إليه؟

وظل الرجلان يُحملقان نحو إلهام، ولكنهما لم يستطيعا أن يتبينا إذا كانت فتاة أو فتى أو رجلا، لأن المياه المتحركة والرذاذ المتطاير جعلا الرؤية الواضحة عسيرةً. وبينما كان الرجلان مُنْهَمِكَيْن في تبين الشخص الذي يُشِيرُ ويتحرَّك خاف مياه الشلال وفى محاوَلَة كَشْف الطريق المؤدى إليه، كان أسامة وطريف قد وصلا إلى الكهف ودلفا إليه ووضعا الغرارة على الأرض واستلقيا وأنفاسهما تتلاحق من التعب.

ولم يلحظا غياب أختيهما فى أول الأمر. وفى خارج الكهف كان الرجلان فى حَيْرَةٍ شديدة لاختفاء الصبيين، فإنهما لم يرياهما وهما يدخلان إلى الكهف لأنهما كانا مشغولين بالنظر إلى إلهام. وقال عوض: أين ذهب هذان الشقيان؟! لقد كانا فوق تلك الصخرة عندما رأيتهما آخر الأمر!

وزمجر فرج قائلا: نعم! لقد حَوَّلْتُ نظري عنهما دقيقة... بل بعض دقيقة. لأنظر إلى ذلك الشخص الذي كان يشير إليهما من خلف مياه الشلال ... إنهما قد اختفيا، وأياً كان الأمر فقد عرفنا أين يختبئان، وليس علينا إلا أن نتسلّق هذه الصخور حتى نعثر على الممر الذي يوصلنا إلى ذلك النتوء خلف الشلال.

وعندما استراح أسامة وطريف فَطنا إلى غياب إلهام وأنسام فصاح أسامة: يا ترى! إلى أين ذهبتا؟!! ألم نقل لهما: لا تخرجا من الكهف في غيبتنا لئلا تضلا الطريق؟ !

ولم يكن طريف أو أسامة يعلمان بوجود تلك الفتحة التي كشفتها أنسام، فذهب طريف إلى مدخل الكيف وأزاح الأغصان ثم ردها إلى مكانها، لأنه رأي عوضا وفرجا يتسلقان الصخور غير بعيد عن الكهف، وصاح بأسامة: انظر!! ما الذي أتى بهذين الرجلين إلى هنا؟!! ألم يكونا عند الطائرة عندما ذهبنا لإحضار الغرارة؟

وفى ذلك الوقت كانت إلهام قد تركت مكانها خَلْفَ الشلال وأسرعت مع أنسام لتحذير أَخَوَيْها ولتخبرهما أن عوضاً وفرجا كانا يتبعانهما على الرغم من أنها لم تكن واثقة مما إذا كان الرجلان قد رأياهما يدخلان إلى الكهف أو لم يَرَيَاهُما، ولكنها كانت واثقة أن أسامة وطريفا لا يشعران بوجود الرجلين، وأن الرجلين قد لمحاها وهي تشير لأخويها. وأسرعت أنسام تسير فى الممر المتعرج المؤدى إلى كهف الصدى تتبعها إلهام، وقد نسيتا كيكي جالسةً فوق الصخور ترقُبُ الرجلين اللذين كانا يحاولان تساق الصخور المحيطة بالشلال. ولم تفطن كيكي لانصراف الفتاتين بسبب هدير الماء الذي غطى عَلَى صَوْتِ أقدامهما فلم تسمعهُمَا. ووصلت الفتاتان إلى كهف الصدى، فقالت

إلهام: يا ترى! أين الفتحة التي جئنا منها؟ فتردد صدى صوتها: جئنا منها. منها. منها.

وسلطت إلهام ضوء بطاريتها على جُدران الكهف حتى عَثَرَتْ على فتحة السرداب، فاندفعت مسرعة إلى داخله واندفعت أنسام. وأخذتا تزحفان حتى وصلتا إلى الكهف، فوثَبَتَا إليه، فوجدتا أسامة وطريفا ينظران خلسة من بين أغصان الشجرة، فألقتا بنفسيهما فوقها فجأة، فدُعِرَ الصبيان، وظن أسامة أن أعداء مجهولين قد هجموا عليهما، فصوّبَ ضربة طائشة لمن خَلْفَهُ فأصابت الضربة إلهام، ولكنها - وهي سريعةُ الغضب - كالَتْ له ضربةً مماثلة، فصاحت أنسام: كفى! كفى!! إننا نحن!

وصاح أسامة: أين كنتما؟ ومن أين أتيتما؟

فقالت إلهام وهي تنظر إليه غاضبة: هناك سِرْدَابُ في نهاية الكهف جئنا منه. ولكن هل تعلم أن الرجلين يَتبَعَانكما طول الوقت؟

فصاح طريف: أحقاً ما تقولين؟!! انظري الآن! إنهما يبحثان عنا هناك عند الشلال

٦- فى الكهف الأمن

أخذ الأطفالُ الأربعة ينظرون بحذر من بين أغصان الشجرة، ويراقبون الرجلين وهما يتسلقان الصخور الزلقة بالقرب من الشلال. ثم قال أسامة: لماذا يبحث هذان الرجلان عنا هناك؟

فقالت إلهام: لا بد أنهما لمحاني وأنا أشير إليكما من خلف الشلال، فظَنَّا أن ذلك هو مكاننا.

فقال أسامة في دهشة: تُشيرين إلينا من خلف الشلال؟! ما هذا الذي تقولين؟

فقالت إلهام نعم: لقد كنا أنا وأنسام خلف الشلال عندما رأيناكما تقبلان ومعكما الغرارة، فلما رأينا الرجلين يتبعانكما حاولت أن أوجه أنظاركما لأحذِّركُما، ولكنكما لم تنتبها.

فقال طريف: وكيف استطعتما أن تذهبا إلى خلف الشلال؟! كيف تُغامِرَان بتسلُّق هذه الصخور المبتلة الزلقة لتصلا إلى خلف الشلال؟! وماذا كان يحدث . . .؟!

فقالت إلهام: إننا لم نذهب عن هذا الطريق أيها الأحمق. لقد ذهبنا عن طريق آخر!

ثم قصت على أسامة وطريف كيف ذهبت مع أنسام إلى كهف الصدى. ثم كيف وصلتا إلى خلف الشلال عن طريق الممر المتعرج. وبعد أن استمعا إليها في دهشة قال طريف: يا للغرابة!! يا للصدف العجيبة!! لا شك أن الرجلين لَمَحَاكِ وحَوَّلَا أنظارهما عنا فى نفس الوقت الذي اختفينا فيه داخل الكهف فلم يهتديا إليه. إن حظنا سعيد لذلك.

وقال أسامة: هذا هو السبب إذا فى أنهما يحاولان الوصول إلى الشلال فوق هذه الصخور الخطيرة. ولو أنهما انزلقا الآن لجوفهما الماء المدفع، وانتهي عمرها في لمح البصر.

وقالت أنسام: أنني لا أريد أن أرى هذا المنظر، ولن أنظر معكم.

ولكن الثلاثة الباقين ظلوا يراقبون الرجلين وهما ينتقلان من صخرة إلى صخرة، وهما يزدادان غَضَباً وحَنَقاً لعدم استطاعتهما الوصول إلى النتوء خلف الشلال، وكانت كيكي مازالت في مكانها تراقبهما بشغف، وفجأة أطلقت إحدى ضحكاتها العالية، ومضت تقلد الأطفال عندما يقهقهون. فقال عوض لزميله: هل تسمع؟! إنهم يضحكون منا! لن أدعَهُمْ يُفْلتون من قبضتي.

وفى أحد الممرات زلقت قدم أحدهما وكاد يهوى إلى قرار الشلال ..

ومضى الاثنان يبحثان عن طريق بين الصخور وهما يتعثران وينزلقان. وفى أحد الممرات زلقت قدم أحدهما وكاد يهوى إلى قرار الشلال، ولكن زميله أنقذه. وجلسا فوق إحدى الصخور يلهثان من التعب وقد ابتلت ملابسهما بفعل الرذاذ المتطاير، وأخذا يتساءلان من أين أتى هؤلاء الأطفال؟!! ومن هم؟! وماذا يريدون ...؟

وأخذ الأطفال يراقبون الرجلين فى سرور وهم يلاحظون حيرتهما وقلقهما وفشلهما. وأخيراً قال عوض لزميله: يحسن بنا أن نعود، ويمكنهم البقاء فى مخبئهم. ويجب أن نحضر بعض الرجال ليساعدونا، ونستطيع أن نترك واحداً هنا ليراقب المكان مراقبة دائمة. هيا بنا.

وانطلق الرجلان عائدين، ولاحظ أسامة أنهما سيمران قريباً من الكهف، فأعاد الأغصان مكانها، وجلس الجميع ساكنين كالفئران المذعورة يستمعون إلى صوتي الرجلين يقتربان حتى أصبحا أمام الكهف، وعندئذ اهتزت أغصان الشجرة بشدة فجأة، وكادت أنسام تصرخ ذعرا، وظن الإخوة أن الرجلين قد كشفا مكانهم وأنهما سيدخلان الكهف، ولكن الأغصان اهتزت مرةً أخرى، ثم ساد السكون. وظل الأطفال ساكنين فترة ... ثم نظرت إلهام إلى أسامة فأومأ برأسه كأنما يريد أن يقول إن الرجلين لابد قد ابتعدا وسُرَّى عنهم قليلا وزايلهم

الخوف الذي شعروا به عندما أمسك الرجلان بأغصان الشجرة لتعاونهما على تساق الصخور ونظر أسامة من بين الأغصان بحذر شديد وقال: لست أرى أثراً للرجلين.

فقال طريف: يحسن بنا أن نظَلَّ في الكيف آمِنِينَ، حتى نضمنَ ابتعاد الرجلين، ونستطيع أن نتناول بعض الطعام، ثم أخرج للاستطلاع... أين كيكي؟

فقالت إلهام: آه! لقد نسيناها خلف الشلال ونحن نسرِعُ إلى هنا لنحذركما.

فقال طريف: يجب أن أَذْهَب لإحضارها. ولكنى مُتعب من جَرَّاء حَمْلِ هذه الفرارة الثقيلة مسافة طويلة ولا أكاد أستطيع التحرك.

وفى هذه اللحظة سمع الجميع صوتاً يتكلم خارج الكهف: أقفل البابَ! كيكي داخل البئر! ضع البراد على النار!

فضحك الأطفال، وأزاح طريف بعض الأغصان، فدخلت كيكي ووقفت على كتف طريف، وهي تصيح: قطة قطيفة لطيفة! أين منديلك؟ !

وقالت إلهام: لابد أنها دارت حول مياه الشلال وطارت إلى هنا.

وأحضرت إلهام بعض علب الطعام، وجلس الجميع يأكلون في هدوء، وكيكي تضحكهم بثرثرتها ولغوها. وبعد أن فرغ الأطفال طعامهم

انتظروا وقتاً قصيراً، ثم أطل أسامة برأسه، ونظر خارج الكهف، فلما لم ير أحداً قال: سأخرج وأجلس على تلك الصخرة العالية أراقب المكان، وسنتولى مراقبة المكان وحراسته بالدور وعليك يا طريف أن تأتى إلى بعد نصف ساعة.

وتسلق أسامة الصخرة، وأخذ ينظر فى جميع الجهات، ولكنه لم ير أحداً، وتبعه الباقون، وقضوا جميعاً وقتا طويلا يسيرون على السفح المكسو بالعشب والكلأ والأزهار. فلما مالت الشمس للمغيب وظهر الشفق، عادوا إلى الكهف، وتقدم طريف يربط بعض أغصان الشجرة جانباً وهو يقول: يحسن أن نجدد هواء الكهف، فإن وجود أربعة أشخاص فيه يفسد الهواء.

فقالت إلهام: بل خمسة! لا تنس كيكي

فقال أسامة: بل ستة! لا تنسوا سحليتي العزيزة.

فقالت إلهام، وهي فى ضيق: لقد ظننتُ أنك فقدتها فإني لم أرها طول اليوم.

وكان الظلام قد ساد المكان، فتهيأ الجميع للنوم وقال أسامة: لولا أنى أعلم أن والدتنا فى أشد القلق من أجلنا الآن، لاستطعت أن استمتع بهذه الأوقات الجميلة التي نقضيها هنا في هذا المكان الذي لا نعرفه، ولكنه مكان جميل، وكذلك هذا الشلال العظيم.

فقال طريف: إن الماء يهدر هديراً شديداً، وخريره كانه دوى شديد علا الاذان، ويرج الأجسام. ومع ذلك فإني لا أظن أن هذا الدوى سيمنعني من النوم . . . كيكي ابتعدي عن صدري قليلا. لماذا تصرين على النوم عليه دائماً؟ تزحزحي نحو قدمي.

فصاحت كيكي: امسح قدميك!، ثم طارت ووقفت فوق قدمه اليمنى. وقال أسامة: سأذهب أنا وطريف فى الصباح إلى

كهف الصَّدَى الذي أخترتمانا عنه وسَنَجتازه إلى ما وراء الشلال كما فعلتما فى مُغَامَرَتِكُما الصغيرة.

فصاحت إلهام: مُغَامَرَتُنَا الصغيرة؟! إِنَّهَا مُغَامَرَة كبيرة جداً وخاصة أنها انتهت بنا إلى ما وَرَاء مياه الشلال.

وبعد لحظاتٍ كان الجميع قد اسْتَغْرَقُوا فِي النَّوْمِ. وأتى ثعلب صغير إلى مدخل الكهف يتشمم الهواء. فلما تنسم رائحة آدميين وَلَّى الْأَدْبَارَ. وفى الصباح استيقظ الأطفال على صوت أزيز مُرتفع. وقفَر طريف قائلا: إنها طائرة!! إنها النَّجدَةُ !!، وأسرع الجميع إلى خارج الكهف، وما لبث أسامة أن قال مُتَهَكِّمًا: أَهَذِهِ طائرةُ النَّجْدَةِ أَيُّهَا الأحمق؟! إنها الطائرة التي جئنا بها إلى هنا وقد طار بنها الرجلان.

الفصل الثالث

١- الأسير المسكين

اختفت الطائرة خلف الأفق بعد أن استطاع الأطفال أن يتحققوا من أنها طائرة الرجلين، وقال طريف: يا ترى! هل تعود الطائرة إلى المطار الذي ركبنا منه؟! وهل يعلم سمير مقاصد هذين الرجلين؟

قال أسامة: إننا أنفسنا لا نعرف كثيراً عن مقاصدهما، والصدقة المحضة هي التي جعلتنا نعرف أنهما يسعيان وراء الحصول على كنز. ولكن الذي يحيرني هو.. أي كنز هذا الذي يتوقعان أن يجداه هنا...؟

فسأله طريف: هل تتوقع أن يعودا مرة ثانية؟

فقال أسامة: نعم!! إنهما سيعودان. فلن يكفا عن البحث بهذه السهولة التي رأيتها. وأعتقد أنهما ذهبا لِيُخبرا شُرَكاء لهما أَنَّ هناك ناساً غيرهما فى هذا المكان. ولا رَيْبَ أنهما يعتقدان أنَّنا نسعى وراء الحصول على الكنز أيضاً، وقد يُحضران رجالاً آخرينَ للبحث عنا.

فقالت الهام: هل تعتقد أن كلا الرجلين قد رحلا؟

فقال أسامة: أعتقد ذلك. ويمكننا أن نذهب لنتحقق؟ إذا كانا قد رحلا جميعا، أو بقى واحد منهما ورحل الآخر. فإذا كان أحدهما قد تخلف فأنا أعتقد أنه سيبقى بجوار الكوخ، ولن يجرؤ على الابتعاد عنه

خَشْيَة أن يكون معنا رجال كبار قد يصيبونه بشر، وعندما توجه الأطفال إلى كوخ الرجلين لم يجدوا أحداً هناك، ووجدوا آثار رماد النار وقد أطفأها الرجلان قبل رحيلهما. ووجد الأطفال باب الكوخ قد أغلق فى هذه المرة إغلاقا حقيقيا، ولم تستطع ركلاتهم أن تفتحه كما كانت تفتحه من قبل. وذهب الأطفال إلى حيث كانت تلك الصناديق الخشبية مخبّأةً فوجدوها كما هي. ما زالت فارغة. فأخذوا يلعبون بعض الوقت حولها، ثم تناولوا طعامهم هناك، وبعد أن فرغوا جميعاً من تناول الطعام اقترح أسامة أن يعودوا إلى الكهف، لكى يذهب مع طريف إلى كهف الصَّدَى الذي اكتشفته إلهام وأنسام، ثم يذهبوا جميعا إلى ما وراء الشلال عبر الممر المتعرج. وغادرَ الأطفال المكان بعد أن أزالوا كل ما ينم على وجودهم فيه. ولكنهم عندما وصلوا إلى الكهف أخذ طريف يتحسّس جُيُوبه، فسألته أنسام: ماذا حدث يا طريف؟

فأجابها: لقد نسيت فتاحة علب الطعام عند الشجيرة التي أكلنا تحتها.

فقال أسامة: إذا فلن نستطيع تناول الطعام بعد ذلك... إنك حمار كبير!

فقال طريف آسفاً: إنني أعلم ذلك. فاذهب مع إلهام وأنسام إلى كهف الصدى، وسأعود مع كيكي لنبحث عنها.

فقالت أنسام: سأعود معك.

فقال طريف: لا! لقد مَشَيْت مسافة كبيرة اليوم. ثم إني أستطيع السير مُسرعا إذا كنتُ وحدى.. سأستريح قليلاً ثم أذهب للبحث تحت الشجرة.

وجلس طريف على العشب، وجلس إخوته بجانبه وهم اسفون لحاله، ولاضطراره إلى العودة للبحث عن الفتاحة، ولكنه لم يكن من الأمر بد. وبعد أن استراح طريف نهض واقفاً وحَيَّا إخوته وانطلق في سبيله وكيكي فوق كتفه تثرثر بلا انقطاع، وكأنها تتحدث في أمر حيوي ذي أهميَّةٍ شديدة، وطريف يضحك منها ومَن هزرها. ووصل إلى الشجرة التي تناولوا تحتها طعامهم، ومر كثيراً عندما وجد الفتاحة، فالتقطها ووضعها في جيبه وهو يقول: إن عثوري على الفتاحة قد هَوَنَ من تعبي وجعَل الرحلة تبدو لطيفة.

فصاحت كيكي على الفور: قطة لطيفة قطيفة! قطة قطيفة لطيفة:!

فقال طريف: إني أُوَافِقُكِ على ذلك، ويحسن بنا الآن أن نعود قبل أن يحلَّ الظلام.

وقبل أن يتحرك طريف من مكانه سمع صوتاً خافتاً ما لبث أن أخذ يعلو ثم يعلو . . . فتبينه فإذا هو صوت أزيز طائرة. فقال: هل عاد الرجلان بهذه السرعة؟ !

ونظر إلى السماء فرأي الطائرة تحلق على ارتفاع كبير، فخطرت له فكرة أسرع يُنفّذها.. إنه تسلق إحدى الأشجار القريبة من كوخ الرجلين واستطاع أن يرى الطائرة وهي تقترب شيئاً فشيئاً حتى هبطت إلى الأرض فلم يعد يستطيع رؤيتها. وأمر كيكي أن تلزم الهدوء فقالت: هش ش ش! ثم سكتت. وبعد قليل من الوقت وصل الرجال إلى الكوخ وكانوا أربعة رجال في هذه المرة. واستطاع أن يتبيَّن أن أحدهم أسير، فقد كانت يداه مربوطتين خلف ظهره، وكان يمشى مطأطئ

الرأس متعذرا. وأخذ عوض يوقد النار، وذهب فرج إلى الكوخ وعاد بعد لحظات وقد حمل عدداً من علب الطعام. وجلس الأسيرُ على الأرض وقد تدلّى رأسه فوق صدره. ولم يستطع طريف أن يعرف ما إذا كان الرجل مريضاً أو خائفاً.. أما الرجل الرابع فكان من الواضح أنه زميل لعوض وفرج، وأَنَّ مُهِمَّتَه أَن يحرس الأسير، لأنه جلس أمامه يُراقبه ويراقب عوضا وفرجا دون أن يتكلَّم. وأخذ الرجال يتكلمون بصوت خافت في أول الأمر وهم يأكلون. ونظر الأسير إليهم، ولكنهم لم يقدموا له شيئاً يأكله. وقال الأسير شيئاً لم يسمعه طريف، فقال عوض: لن نُعطِيكَ طعاماً أو شراباً إلا إذا أخبرتنا بما نريد أن نعرف.

فقال الأسير كلاما بصوت واهن ضعيف، فلطمه حارسه لطمة شديدة على وَجْهِهِ. فقال طريف فى نفسه: يا لِلْجَبان!! أيضرب رجلاً وهو مقيد اليدين لا يستطيع الدفاع عن نفسه!

وقال عوض: إننا لم نستطع أن نقرأ الخريطة أو نفهمها فهي مختلطة بعضها ببعض. فإذا لم تفسرها لنا فسيكون عليك أن تصحبنا غدا وتدلنا على الطريق.

ورفع الأسيرُ رأسه وتكلم بصوته الضعيف، ويبدو أنه اعتذر عن عدم قدرته على السير لأن فرجا ردَّ عليه قائلا: سوف نَسْحَبُكَ طول الطريق سَحْبًا، وَنَجُرُّكَ جَرًّا، ونرْغِمك على أن ترشدنا إلى ما نريد.

وقال عوض: إذا لم تدلنا على الطريق غدا فسنتركك بلا طعام؛ حتى يحل الجوع عُقدة لسانك

وانتهي الرجال الثلاثة من طعامهم، فتثاءب عوض وقال: إنني فى حاجة إلى النوم، فهيا إلى الكوخ، وسينام هذا الإنسان - وأشار إلى الأسير - على الأرض.

وتوسل إليهم الأسير لكى يَحُلُّوا وَثاقَ يَدَيْهِ، ولكنهم رفضوا ونهروه. واتَّجَهَ الرجال الأربعة إلى داخل الكوخ بعد أطفأ عوض النار. ولما اطمأنَّ طريف إلى خلو المكان نزل من الشجرة، وتقدم على أطراف قدميه إلى الكوخ وجاهد حتى نظر من النافذة، فألفى عوضاً وفرجاً نائمين فوق الحَشِيَّة، وكان زميلهما نائماً وهو جالس فوق المقعد، ورأي الأسير يتقلب متململاً فوق الأرض. وكانت هناك شمعة موضوعة فوق المائدة ترسل ضَوَء خافتا. ثم تسلل مبتعداً، وأسرع فى طريقه عائداً إلى الكهف وقد حل الظلام. ولكنه كان قد اعتاد السير في لطريق، فلم يجد صعوبة كبيرة في الاهتداء، ولم يضل الطريق الصحيح إلى الكهف.

وفى ذلك الوقت كان إخوته في الكهف قد انتابهم القلق لغيابه، وأرادت أنسام أن يخرجوا للبحث عنه، ولكن أسامة قال: أعتقد أن طريقًا لم يضل طريقه، ولكن من المحتمل أن يكون فَضَّل قضاء الليل هناك بدلاً من أن يعود في الظلام، ثم يأتي في الصباح. وأخشى إذا خرجنا للبحث عنه الآن أن نضل طريقنا فلننتظر إلى الصباح.

ولكن قبل أن يناموا سمعوا صوتاً خارج الكهف، ثم اهتزت أغصانُ الشجرة وأضاء الكهف ضوء بطارية طريف، ثم ما لبث أن جلس بين إخوته يقول: لقد جئتكم بأنباء جديدة.

٢- خيبة الأمل

نهض الأطفال فرحين عند رؤية طريف، وسارعوا إلى تناول عشاءهم لأن الجوع كان قد عضَ بطونهم. وفى أثناء تناول الطعام أخذ طريف يقص عليهم كل ما حدث بين الرجال الثلاثة والسجين المربوط اليدين. وحَزَنَتْ أنسام عندما أخبرهم أن الرجال تركوا الأسير بلا طعام، وأنهم يضربُونَهُ وهو مربوط اليدين، لا يستطيع الدفاع عن نفسه. وقال أسامة: لقد اتَّضَحَ لِي كُلُّ شيء الآن. ففي مكان ما من هذا الوادي كنز عظيم. وربما كان ملكا لأولئك الناس أصحاب المنازل المحترقة. وقد

علم هذان الرجلان: عوض وفرج بأمر الكنز، وحاولا الوصول إليه مستعينين بخريطة تبين لهما الطريق، ولكنهما لم يستطيعا الوصول إلى مكان الكنز، ولذلك أحضرا هذا الأسير لكي يرشدها إلى الطريق. ولا رَيْبَ أنه يعرف الكنز ويُحدد مكانه.

فقال طريف: هذه هي الحقيقة. وقد قبضوا على هذا الرجل، وينوون أن يُرْغموه على أن يَدُلُّهُم على الطريق بأن يتركوه بلا طعام حتى يَرْضَخَ لمشيئتهم أو يَهْلِكَ جوعا.

فقالت إلهام: يا لهم من متوحشين!

وقالت أنسام: يا ترى! هل يتأثر هذا الرجل الأسير، ويدلهم على مكان الكنز.

فقال أسامة: أرجو أن يدلهم على مكانه إنقاذاً لنفسه. اسمعوا يا إخوتي: خطرت لي فكرة، وهي أن يقتفى بعضنا أثر هؤلاء الرجال غداً حتى نستطيع أن نعرف نحن أيضاً مكان الكنز، وهم لن يستطيعوا نقله مرة واحدة، وربما أمكننا أن تنقذ منه شيئاً قليلا أو كثيراً.

وقالت أنسام: يا ترى! مم يتكون هذا الكنز؟

فقال طريف: لست أدرى.. ولكن أمثال هؤلاء الرجال لا يسعون إلا وراء الذهب والمال، ولابد أنه كثير لأن استعمال الطيارة، وكثرة التردُّدِ والتعرض للأخطار - كل ذلك يكلفهم كثيراً.....

وجلس الأطفال صامتين برهة وهم يفكرون. ولم ترق لأنسام فكرة تتبع الرجال خَشْيَة أن يفطنوا إليهم ويقبضوا عليهم. وقال طريف: سأذهب أنا وأسامة غداً لنتتبع هؤلاء الرجال وتبقيان أنتما هناة..

وسرَّت أنسام لذلك، ولكن إلهام صاحت: لا! سآتي معكما حتى لا تفوتني هذه المغامرة.

فقال طريف: لا داعى للخلافِ! لقد قمتِ مع أنسام بمغامرة خاصة، وكشفتما كهف الصدى والطريق إلى ما وراء الشلال، فاتركا لنا هذه الفرصة.

فقالت إلهام على مضض: حسناً! فليكن لكما ذلك.

وتهيأ الإخوة كلهم النوم، وأرادت إلهام أن تطمئن على أن السحلية بعيدة عنها. فقالت: أين السحلية؟

فقال أسامة يغيظها: لا أعرف. وربما كانت مختبئة فى ملابسك.

فقال طريف: هذه هي السحلية بجاني فلا تخافي.

وانطلقت كيكي تقهَقِهُ بلا مناسبة ظاهرة. فصاح الجميع في وقت واحد: كفى يا كيكي! فقد كانت قهقهتها مرتفعة. مزعجة. وصاحت كيكي غاضبة: ضع البرادَ على النار! ثم وضعت رأسها تحت جناحها ونامت. واستلقى الاطفال لينامواء وقال أسامة :هذه ليلتنا الرابعة فى هذا الوادي. يا ترى! ماذا يحدث بعد ذلك؟

ولم يمض كثير حتى كان الأطفال قد ناموا. وَجَرَتِ السحلية فوق أنسام ثم قبعت بجوار إلهام، ولو أنها كانت مستيقظة لملأت الدنيا صراخاً، ولكنها كانت نائمة فلم تشعر بشيء.

وفى صباح اليوم التالي استيقظ الأطفال منتعشين. وقال أسامة: هيا نتناول طعام الإفطار حتى نخرج لنقتفي أثر الرجال إلى مكان الكنز.

فقال طريف: وكيف نعرف أنهم بدءوا رحلتهم؟

فقال أسامة: عندما ذهب عوض وفرج للبحث عن الكنز أمس مَرَّا بالقرب من هذا المكان، فَطَرِيقهم إلى الكنز قريب منا. وإنك تستطيع أن تختبئ خلف تلك الصخرة السوداء، حتى إذا رأيناهم يمرون أمامنا نتبعناهم عن بعد.

وبعد أن تناولوا طعامهم خرجوا من الكهف، وذهبوا إلى الصخرة السوداء واختفوا خلفها. وبعد ساعة رأوا الرجال الأربعة قادمين والأسير ما زال مُوثق اليدينِ، وقد أخذ يتعثر في مِشيَتِه لأن الجوع أثر فيه وأضعفه. وقال طريف الإلهام وأنسام: ابقيا هنا. حتى إذا ابتعدنا فارجعا إلى الكهف ولا تبتعدا عنه حتى لا تضلا الطريق، وخذا كيكي معكم فنحن لا نريدها..

وأمسكت أنسام كيكي من رجليها، فأدركت كيكي أنها لن تذهب مع طريف، فصاحت غاضبة. ونظر الأطفال في جزع نحو الرجال خشية أن يكونوا قد سمعوا صيحة كيكي، ولكنهم لم يسمعوها. وانطلق أسامة وطريف فى أثر الرجال. وقال طريف: إننا نستطيع أن نتبعهم عن بعد كبير وتراقبهم من خلال منظاري المعظم. وهل ترى من الضروري أن نضع علاماتٍ على الأشجار حتى لا نضِلَّ طريقنا عندما نعود؟

فقال أسامة: نعم! إن ذلك يساعدنا كثيراً في تبين طريق العودة.

وظل الاثنان يتبعان الرجال حتى وصلا إلى مكان شديد الانحدار. فقال طريف: أرجو أن يكونَ الرجالُ قَدْ حَلُّوا وَثاق الأسير حتى يستطيع الصعود فى هذا المنحدر الخطير.

وعندما انتهيا من صعود ذلك المكان المنحدر لم يجدا أثراً للرجال. فوضع طريف نظارته المعظمة أمام عينيه، وأخذ يبحث عنهم حتى وجدهم قد سبقوهما بمسافة طويلة، فأسرعا فى طريقهما حتى يقتربا منهم، وفي أثناء سيرهما وصلا إلى مكان ظهرت فيه آثار انهيار في الصخور. وكثير من الاشجار التي اقتلعت من مكانها، فقال طريف: هل حدث هنا زلزال حطم هذه الصخور واقتلع هذه الأشجار؟!

وقال أسامة: يبدو أن الرجال قد داروا حول هذه الصخرة فيحسن بنا أن نتقدم بحذر حتى لا يرونا ونحن نتبعهم.

وما كاد الصبيان يقتربان من المكان الذي تحدث عنه أسامة حتى سمعا صوت الرجال ثم رأياهم. وكان هناك بعض الشجيرات القريبة، فاختفيا خلفها، واستطاعا أن يريا الأسير وقد حل وثاق يديه، وكان واقفاً أمام مجموعة ضخمة من الصخور المنهارة، ويشير إليها، وسمعوه يقول: إن المدخل خلف هذه الصخور.

فصاح عوض في لهفة: فى أي مكان بالضبط.

فأشار الأسير إلى المكان مرة أخرى وقال: إنني لم أكن أعلم أن هذه الصخور قد انهارت وسدت المدخل إلى الكنز. ولكن إذا حاولتم إبعاد بعض هذه الصخور فقد تستطيعون المرور من بينها إلى الكهف حيث يوجد الكنز. فاندفع عوض نحو الصخور وأخذ يزحزحها وهو

يصيح بزميليه: هيا عاوناني. ساعدني يا فرج. ادفع هذه الصخرة يا رجب...

وفى أول الأمر جلس الأسير لا يفعل شيئاً، ولكن عوضاً أمره أن يساعدهم. فتقدم ببطء وبدأ يحمل أحد الاحجار، ولكنه تعثر وسقط على الأرض. فتركوه ملقى فى مكانه وواصلوا إزالة الصخور. وأخذ أسامة وطريف يراقبان الرجال الثلاثة. ثم قال طريف: لا أظن أنهم سيستطيعون إزالة كل هذه الصخور بأيديهم..

وكأنما فطن الرجال إلى هذه الحقيقة فكفوا عن العمل وجلسوا يستريحون. وأشار الرجلُ الْمُسَمَّى رجبا إلى الأسير الملقى على الأرض وقال: ماذا نستطيع أن نفعل بهذا الرجل؟

فقال عوض في غير اكتراث: أعطه بعض الطعام وسَتَتَحَسَّنُ حالته.

وقال أسامة لطريف: يبدو أنهم ينوون الرجوع، فهيا لنعود قبلهم. لقد كنتُ أَوَدُّ أن أرى شيئًا من الكنز.

وقال طريف: إن هذه الأحجار في حاجة إلى آلات عظيمة لكى ترفعها.

وأسرع الصبيان إلى الكهف حيث قابلهما إلهام وأنسام بوابل من الأسئلةِ، ولكن أسامة قال: لقد وجدوا أن كهف الكنز قد سدته الصخور والأحجار، ولا أعلم ماذا ينوون أن يفعلوا.

٣- إنقاذ الأسير

بعد أن عاد أسامة وطريف إلى الكهف بقليل، كانت أنسام تنظر من بين أغصان الشجرة التي تخفى مدخل الكهف. فصاحت: هؤلاء الرجال قادمين.

فأسرع أسامة يَجْذِب الخيط الذي يربط الأغصان إلى جانب فتحة الكهف، فعادت إلى مكانها وأخفت مدخل الكهف، فلم يظهر منه شي. ونظر الأطفال من بين فرجَاتِ الْأَغصَانِ فِي حَذَرٍ. وقال طريف: إني لا أرى الأسير معهم !

فقال أسامة: ربما سقط منهم فى الطريق لشدة ما أصابه من إعياء وضعف بسبب الجوع والعطش.

ولم يستطع الأطفالُ أن يسمعوا كلام الرجال الثلاثةِ، ولكنهم فهموا مما شاهدوه أن عوضاً ورجباً سيواصلان طريقهما إلى كوخهما، وسيظل فرج مُرَابطًا بجانب الشلال حتى يَكْشِف مخبأ الأطفال وطريق الوصول إليه. وانصرف عوض ورجب و بقى فرج بجوار الشلال، وتخير صخرة مسطحة وجلس عليها ينظر إلى المياه المتدفقة.

وقال طريف: إننا لا نستطيع الخروج من الكهف وهذا الرجل في مكانه. وبالرغم من أن ظهره إلينا فقد يلتفت في أية لحظة ويرانا!

وقالت أنسام: إني أرثى لذلك الأسير! لو أنه وقع في الطريق وتركوه فما الذي سيحدث له؟

فقال طريف: أعتقد أنه سيموت! فإن هُزَالَه وشجونه وضَعْفَه.. كل أولئك يدل على أنه مريض جداً !

فقالت أنسام: إنه من الواجب علينا أن نبحث عنه وننقذه من الموت.

فقال أسامة: نعم! هذا صحيح، ولكن كيف نستطيع الخروج من الكهف وذلك الرجلُ يراقب المكان؟

وجلس الأطفال صامتين يفكرون في حل لهذه المشكلة. ثم قالت أنسام: لقد وجدت طريقة للخروج من الكهف دون أن يلاحظ الرجل شيئاً. فقالت إلهام: وماهي هذه الطريقة؟:!

فقالت أنسام: إذا ذهب بعضنا إلى تلك الصخرة خلف مياه الشلال وعمل على جذب انتباه، فرج، فإن الباقين يستطيعون الخروج دون أن ينتبه إليهم...

فقال أسامة: إنها فكرة مدهشة. فاذهبي يا إلهام مع أنسام إلى ما وراء الشلال واجتذب انتباه فرج، وستكونان في مأمن لأنه لا يستطيع

الوصول إليكما. وفى أثناء ذلك سأتسلل أنا وطريف ونخرج للبحث عن الرجل الأسير.

فقالت إلهام: حسناً! ابقيا هنا حتى تريانا خلف الشلال تم اخرجا.

وظل أسامة وطريف فى مكانهما حتى ظهرت إلهام وأنسام خلف الشلال وأخذنا تقفزان وترقصان. ورآها فرج ودهش غاية الدهشة، ونهض واقفاً وهو يصيح ويشير إليهما، ولكنهما تظاهرتا بأنهما لا تريانه، واستمرتا فى رقصهما وقفزها، وأخذ فرج يحاول الوصول إلى الشلال، وعندئذ قال أسامة: إن الفرصة قد سنحت لنا، فإن كل انتباهه موجه لإلهام وأنسام.

وتسلَّل أسامة وطريف مُسرعيْنِ إلى الخارج من بين الأغصانِ وجَرَيَا يختفيان حتى لا يراها فرج. ولما رأت إلهام وأنسام أن أخَويْهما قد خرجا من الكهف عادتاً ثانيةً إلى الممر الذي يؤدى إلى كهف الصدى وأخذ أسامة وطريف يَتَدَبَّرَانِ الأمر. فقال طريف: أنذهب إلى ذلك الكهف الذي سَدَّتْهُ الأحجار، فقد يكون الرجلُ ما زال ملقى هناك؟! أم نذهب إلى الكوخ، فقد يكون الرجلان اصطحبا الأسير معهما؟ !

فقال أسامة: لا أظن أنهما سيتركانه يموتُ، إذ لا شك أنهما ما زالا فى حاجة إلى معلوماته.

وانطلق الاثنان إلى الكوخ الذي يعرفان الطريق إليه معرفه جيدة. فلما وصلا قريباً من الكوخ لم يجدا أثراً للرجال وكان الكوخ مغلقا. وفجأة قال أسامة: اسمع! أليس هذا صوت محركات الطائرة أيطير الرجلان الآن؟

وأسرعاً إلى مكان يستطيعان منه رُؤية الطائرة بمنظار طريف.. ولم يكن الرجلان ينويان السفر، ولكنهما كانا يصلحان الطائرة ويفحَصانها. فقال طريف لأسامة: أنني قلق من أجل ذلك الأسير، فاستمر في مراقبة الرجلين، وسأذهب أنا إلى الكوخ لأرى ما إذا كان الأسير هناك أو ليس هناك، فإذا انتهيا من عملهما فتعال لتحذرني

وأخذ أسامة المنظار المعظم، وذهب طريف مسرعاً إلى الكوخ فوجده مغلقاً، ونظر من النافذة فوجد الأسير جالسا على المقعد صورة مُجَسَّمَةً لِلْبُؤسِ والضعف، وقد اعتمد رأسه بين يديهِ، وأراد طريف أن يصل إليه، ولكن النافذة كانت صغيرة لا تسمح بخروج الرجل منها، كما كان البابُ مَوصَداً ودار طريف حول الكوخ عدة مراتٍ، ولكنه لم يجد طريقة للدخول، فوقف أمام باب الكوخ حائراً، وفجأة رأي شيئاً فتح له باب الأمل وباب الكوخ، فقد رأي مفتاحا كبيراً معلقاً فى مسمار على جانب الباب، وقد وضع هناك ليستخدمه من يصل أولا من الرجال إلى الكوخ، ومد يده وأمسك المفتاح ووضعه في ثقب الباب،

وظهرت إلهام وأنسام خلف الشلال وأخذنا تقفزان وترقصان ...

واداره فانفتح الباب، ودخل طريف إلى الكوخ ورفع الأسير رأسه ببطء عندما سمع صوت الباب يفتح، ونظر إلى طريف مشدوها. فقال طريف: لقد جئت لأطلق سراحك، فهل تريد أن تأتي معي؟

فابتسم الرجل ابتسامةً وَاهِنَةً، وَهَزَّ رَأْسَه فِي ضَعَفٍ مُوَافِقاً، فمد طريف يده إليه وقال: تعال معي!

ولكن الرجل أشار إلى ساقيه فوجد طريف أنهما مُقيّدتان بحبل متين، وكان الرجل من الضعف بحيث لا يستطع تخليص نفسه، وأخرج طريف مديته وأخذ يُقَطِّع الحبل الْمُلْتَفَّ حول ساقى السجين، فلما تم قطعه وقف الرجل مُتَرَنِّحا، وعاونه طريف على حفظِ توازنه وهو يعتقد أن الرجل لن يستطيع الوصول إلى الكهف لشدة ضعفه، والتقط طريف الحبل المقطوع ووضعه في جيبه، وخرج الاثنان من الكوخ، وأغلق طريف الباب بالمفتاح، ثم علَّق المفتاح فى المسمار كما كان، وابتسم للرجل، وقال: ستكون مفاجأة لعوض ورجب عندما يكشفان أنك خرجت وما زال الباب موصداً، وكنت أود أن أرى منظرها عندئذ.

وقاد طريف الرجل فسار مُتَرَنِّحًا وازداد يقين طريف أن الرجل لن يستطيع الوصول إلى الكهف، فرأي أنه من الخير أن يذهب به إلى الكوخ الذي قضوا فيه ليلتهم الأولى، وكان قريباً منه، وقال طريف له: انتظرني هنا دقيقة واحدة.

وأسرع يجرى إلى أسامة وأخبره بما حدث، وطلب منه أن يستمر في مراقبة الرجلين حتى يذهب هو بالرجل إلى الكوخ، وقال أسامة: إنهما يصلحان الطائرة ويظهر أنهما لن ينتهيا قبل مضى بعض الوقت وسأستمر فى مراقبتهما.

وعاد طريف إلى الرجلِ وصَحِبَه إلى الكوخ، واستغرق ذلك وقتاً طويلا، فقد كان الرجل فى حالة يرثى لها من الضعف والتخاذل وما كادا يصلان إلى الكوخ حتى تهاوى الرجل من الإعياء. وقال طريف له: سأترُكُكَ هنا وسأعود غدًا لأصحبك إلى مَخْبَأٍ أمين وتكون قد اسْتَرَدَدْتَ بعض قُوَّتِكَ، وسأترك لك بعض الطعام الآن.

وكان طريف ينوى أن يحضر له بعض علب الطعام من الغرارة التي ما زالت مُخَبَّأَةً بين الشجيرات بالقرب من الكوخ، ولكن الرجل سأله بصوت ضعيف: ما اسمك؟! إن اسمى صابر!

فقال له طريف: إن اسمى طريف!

وقص عليه قصته هو وإخوته. فقال صابر: هل سمعت بأمر الكنز؟

فقال طريف: نعم !

فقال الرجل: إنني أعلم كل شيء عنه، وأنني أثق فيك وسأرسم لك خريطةً تُبيِّن مكان الكنز.

٤- خريطة الكنز

قال طريف لصابر: إنني أعرف مكان الكنز، فقد رأيتك في هذا الصباح وأنت تريه عوضاً، وزميليه، ولن يستطيع أحد أن يصل إليه بسبب تلك الصخور الضخمة التي تسد الطريق إليه.

فابتسم صابر وقال: إنهم مجموعة من الحمقى، فليس هناك كنز في ذلك المكان!

فَحَملَقَ طريف في صابر، ونظر إليه نظرةً تنم على دهشة واستعجاب. وقال له: هل تعنى أنك خَدَعْتهم وسخرت منهم، وأنك كنت تعلم أن الصخور مُنْهَارَةً فى ذلك المكان، وتظاهرت بأن هذه الصخور تسد الطريق إلى الكنز؟ !!

فهزَّ صابر رأسَه موافقاً على ما قاله طريف وقال: نعم! لقد خدعت عوضاً وزميليه وغررت بهم وتركتهم يحملون الصخور الضخمة ويجهدون انفسهم فى زحزحَتِها ... ولن يصلوا إلى نتيجة. ولم يتمالك طريف أن ضحك لهذه الخدعة التي جازت على عوض وزميليه. وقال لصابر: وأين مكان الكنز؟

فقال صابر: سأرسم لك خريطة تبينُ مَوْقِعَ الكنز، وسأذلك كذلك على طريق للخروج من هذا الوادي. وعليك أن تذهب بهذه الخريطة إلى رجل يسمى جابراً وهو أعز أصدقائي وتخبره بالقصة كلها، وسيعمل هو على إنقاذ الكنز.

فقال طريف: لماذا لا تأتى معنا ونذهب في صحبتك إلى صديقك جابر؟

فقال صابر: أنني مريض، وإن العلة تلحُ عَلَى فلا أستطيع السير. وإذا قمت بأي مجهود فسأموت لأن قلبي ضعيف، وأنا فى حاجة للراحة وفى حاجة إلى الدواء أيضاً، ولكنى لا أملك منه شيئاً الآن. فاذهب أنت عن طريق الممر الذي سأخبرك عنه الآن، وقابل صديقي جابراً، وأخبره بالأمر كله.

فقال طريف: ليتني كنت أستطيع مساعدتك، ولكني سأنفذ ما تشير به، وسنعود إليك عَجِلِينَ ومعنا طبيب لك. هل تستطيع أن تسير غداً إلى مخبئنا.

فقال صابر: اتركني هنا اليوم. فإذا تَحَسنَتْ حالي ذهبت معك، أما الآن فَسَأُكَمِلُ لكَ الخريطة.

ورأي طريف صابراً يرسم الشلال على الخريطة، ثم يرسم صخرة ذات شكل غريب، ثم شجرةً مائِلَةَ ميلا شديد؟ ثم جدول ماء صغير. ورسم صابر سهاما صغيرة تبين الاتجاه الذي يجب السير فيه، فلما انتهي من رسم الخريطة طواها تم أعطاها طريفا وهو يقول: سيفهم جابر كل شيء، وسيستطيع قراءة الخريطة والاستفادة منها. لقد كان جابر يعيش فى المنزل الكبير المحترق بالقرب من هذا المكان، ولكن أعداءنا أحرقوا ديارنا وقتلوا مئات من أهلنا، ولم يهرب سوى القليل منا.

وقال له طريف: أين الممر الذي يُؤدى إلى خارج الوادي؟

فرسم صابر خريطة أخرى ظهر فيها الشلال، فقال طريف: إنني أعرف هذا الشلال حقَّ المعرفة، ومخبؤنا منه على مرمى البصر.

فقال صابر: حسنا! عليكمْ أَن تَتَسَلَّقوا الجبل حتى تصلوا إلى منبع الشلال، وقد رسمت لكم الطريق على هذه الخريطة.

فقال طريف: وكيف نَجِدُ صديقك جابراً؟

فقال صابر: فى الجهة الأخرى من الجبال ستجدون قرية، وإن أي شخص تلقونه يُمْكِنَكُم أن تسألوه عن جابر فيدُلُّكُم عليه، إذ كل الناس يعرفونه، لأنه طالما كافح الأعداء وقاوم الظلم، وسيعرف ما يجب عليه أن يعمله، حينما تُعطونه الخريطة التي تُحدد مكان الكنز، وسأكتب له خطاباً.

وكتب صابر بضعة سطور فى ورقة، ثم طواها وأعطاها طريفاً، وقال له: يحسن أن تنصرف الآن، وربما أمكنني أن أصحبك غداً إلى مخبئكم.

فقال طريف: إنني آمل أن تكون أحسن حالا غداً، وقد أحضرت لك بعض علب الطعام وفتحتها لك، وسأعود غداً إن شاء الله.

ثم ودَّعَ طريف صابراً وخرج من الكوخ، ومال الرجل في جلسته مستنداً إلى جدار الكوخ لأنه كان متعباً مكدوداً. وسار طريف وهو يقول فى نفسه: يا ترى! ماذا يقول إخوتي عندما يعلمون أن معي خريطة الكنز؟ وعندئذ رأي طريف أسامة وهو مقبل يُسَابِقُ الريح، فسأله: ما الخبر! فقال أسامة: لقد أنهي الرجلان عملهما وتوجها إلى الكوخ، وأعتقد أنهما قد كَشَفَا فرارَ الأسير الآن. أهوَ فى الكوخ؟

فقال طريف: نعم! وأرجو ألا يأتي الرجلان إلى هنا البحث عنه.

وقال أسامة: هيا بنا نسرع إلى الكهف، ويجب أن نكون حَذِرَينِ، فقد يرانا فرج.

ولم يطق طريف صبراً على الاحتفاظ بالسر طويلا، فقال لأسامة: أتعرف الشيء الذي حصلت عليه؟

فقال أسامة: على أي شيء حصلت؟

فقال طريف: لقد حصلت على خريطة تبين موقع الكنز!!

فقال أسامة: وأي شيء هذا؟! إننا نعرف مكانه.

فقال طريف: لا! لقد خدع صابر، وهو اسم الأسير، عوضاً وزميليه، وتظاهر بان الصخور المنهارة قد سَدَتِ الطريق إلى الكنز.

فضحك أسامة وقال: إنهم يَسْتَحِقون ذلك. إذا فإن الكنز أبعد مما يتصورون. وهل عرفت مم يتكون الكنز؟

فقال طريف: لقد نسيت أن أسأله عن محتوياتِ الكنز، ومع ذلك فقد عرفت أشياء كثيرة.

ومضى طريف يقص على أسامة كلَّ ما عرفه من صابر، فقال أسامة: إن هذه أنباء عظيمة.

ومضى الاثنان فى طريقهما، وقد شَعَرَا بالسرور، فقد ازداد أملهما هما في قرب الخلاص من هذه العزلة فى ذلك الوادي. وفجأة قال أسامة: حذار!! لقد لمحت شيئاً يتحرك!

وكمن الأخوان خلف إحدى الشجيرات، ولم تمض لحظات حتى برز فرج من خلف بعض الأشجار وسار مسرعا مارا بمكانهما دون أن يراهما، فلما ابتعد قال أسامة: من حسن الحظ أنني لمحته في الوقت المناسب. والآن نستطيع أن تسرع إلى الكهف.

وقال طريف: يبدو أن فرجا قد جاع، ولذلك انصرف لا يلوى على شيء.. إنني أشعر بالجوع أيضاً.

وأسرع الأخوان نحو الكهف، وكم كان سرورهما عظيما عندما وجدا أن إلهام قد أعدت الطعام وجلست مع أنسام تنتظران مقدمهما. وجلس الجميع يأكلون. وقالت إلهام: لقد انصرف فرج. هل قابلتماه؟

فقال أسامة: لقد كدنا نصطدم به.

وقال طريف: كيف أمضيتهما الوقت؟

فقالت إلهام: لقد قضينا وقتاً مُملاً، وكنا نقوم بين حين وحين ببعض الحركاتِ لجذب انتباه فرج، وقد حاول كثيراً الوصول إلينا، ولكنه لم يستطع، وفى إحدى المرات انزلق وخُيل إلينا أن المياه قد جرفته، ولكنه ما لبث أن ظهر ثانيةً يَتَسَلَّقُ الصخور، وماذا فعلتما أنتما؟

فقص أسامة وطريف ما حدث. وأخرج طريف من جيبه الخرائط التي رسمها صابر، فقالت إلهام: ومتى نذهب للبحث عن الكنز؟

تقال طريف: إننا لن نذهب للبحث عن الكنز!! فإنه يجب علينا أولاً أن نبحث عن الممر المؤدى إلى تلك القرية التي فيها جابر، ونذهب إليه، وسيقوم هو بالبحث عن الكنز، ثم إنه يجب علينا أن نأتي بطبيب من أجل صابر لأن المرض قد نال منه.

وقال أسامة: ويجب علينا كذلك أن نسرع بالخروج من هنا لكى نتصل بوالدتنا وسمير حتى يَطْمِئْنا علينا ... وقد مضى شطر كبير من الليل فاسكتوا واهدؤوا حتى ننام، لأن عملا كثيراً ينتظرنا غداً، إذ علينا إحضار صابر إلى هنا، ثم البحث عن الممر والاتصال بجابر !

فقالت أنسام: يبدو أن مغامرتنا قد أوشكت على الانتهاء..

ولكنها كانت مخطئة.. فلم تكن النهاية قد قربت بعد.

٥- رحلة إلى الممر

نام الإخوة هادئين، وانقضى الليل وتنفس الصبحُ، وأشرقت الشمس، وأضاءت الأرض بنور ربها واستيقظ الإخوة... ونظروا بحذر خارج الكهف لعلهم يَرَوْنَ فرجا أو أي أثر يدل على أنه موجود، فلم يجدوا شيئاً. وقال أسامة: يا ترى! ماذا فعل عوض ورجب عندما

عادا إلى الكوخ ولم يجدا الأسير على الرغم من بقاء الباب موصدًا؟ لا ريب أنهما صَعقا من الدهشة والعجب!...

فقالت إلهام: سَيَظُنَّان أن أحدًا منا قد أنقذه. وأرجو أَلاَ يَعْثُرا عليه فى الكوخ المحترق فقد يخبرهما بشيء عنا.. إذا عثرا عليه.

فقال طريف: لا! إنه لن يفعل ذلك لأن حديثه معنا يوحى بالثقة بنا والاطمئنان إلينا، مثله فى ذلك مثل سمير وإن لم يكن في قوة سمير وحزمه وصرامته.

فَتَنهدت أنسام وقالت: إنني أتمنى أن يصل سمير إلى هنا فَجْأَةً، فإنه يستطيع معالجة الأمور على خير وجه، وأنا أشعر بالاطمئنان عندما يكون سمير موجوداً.

فقال طريف: ألا تشعرين بالاطمئنان في هذا الكهف الأمين؟

فقالت أنسام: بلى! أسامة! إن كيكي تُطَارِدُ السحلية! فقد حدث أن رأت كيكي السحلية فانقضت عليها، ولكنَّ السحلية كانت أسرع منها فاختبأت فى ملابس أسامة، وصاح أسامة: كيكي! لا تؤذى السحلية فإنها صغيرة ولطيفة !

فصاحت كيكي: قطة قطيفة لطيفة!

تضحك الأطفال وأخذت كيكي تهتز كعادتها عندما تكون مسرورة. وقال لها طريف: دعي السحلية وشأنها فإنها أقل الحيوانات التي يقتنيها أسامة ضررا.

فقالت إلهام: نعم! إنها أفضل كثيراً من تلك الفئران والعناكب والخنافس والقنافذ التي يطلقها حوله. وفى الحقيقة إني أحب السحلية إذا قورنت بغيرها.

فدهشت أنسام وصاحت: مدهش!! إنك تقدمت كثيراً يا إلهام.

وبدأ الجميع يتناولون إفطارهم وشاركتهم السحلية وكيكي التي كانت تراقب السحلية باستمرار حتى لا تأخذ شيئاً تريده هي. فلما فرغوا من طعامهم قال طريف: سأذهب مع أسامة لنحضر صابراً إلى هنا. وعليكما تجهيز الطعام الذي نحتاج إليه في رحلتنا للبحث عن الممر والذهاب عبره إلى القرية التي فيها ذلك الرجل الذي اسمه جابر.

فقالت إلهام: حسناً! وأرجو أن تجدا الأسير بخير وتعوداً مسرعين حتى نذهب إلى تلك القرية. ولعلنا نستطيع أن نرسل رسالة إلى والدتنا بأي طريقة كانت، وقد يطير سمير إلى هنا عندئذ بطائرته.

وخرج أسامة وطريف بعد أن تركا كيكي مع أنسام، وانطلقا في طريقهما إلى الكوخ الذي به صابر. فلما وصلا إليه بقى أسامة في خارج الكوخ ليراقب المكان حتى يحذر طريفاً إذا رأي أحداً من الرجال قادما. ودخل طريف وهو ينادى بصوت خافت: صابر القد جئت لأخذك!...

ولكنه لم يُتِمَّ كَلامَه، فقد كان الكوخ خالياً، ولم يكن هناك أثر لصابر!! ووجد طريف علب الطعام كما هي لم تمس. فعاد مسرعاً إلى أسامة وقال له: لقد اختفى صابر!! ولست أعلم أعثر عليه الرجال ماذا حدث؟

فقال أسامة: لابد أنهم أدركوا أن شخصاً ما قد أطلق سراحه، فبحثوا عنه حتى عثروا عليه هنا. ويحسن أن نأخذ حذرنا خشية أن يكونوا متربصين بنا.

فاله طريف: هل نذهب إلى كوخ الرجال لنرى ما حدث لصابر؟

فقال أسامة: إني لا أحب أن تلقى بأنفسنا في التَّهْلُكَةِ دون داع. ويحسن أن نتسلَّقَ الشجرة العالية حتى إذا رأينا الرجال جميعاً حول الطائرة أمكننا أن نذهب إلى الكوخ من غير أن يكون هناك خطر، وإلا فلا داعي للذهاب إلى هناك، فقد يكونون مترقبين ذهابنا، فنقع فى قبضتهم بسهولة.

فوافق طريف على رأي أسامة، وأسرع الاثنان يتسلقان الشجرة.

ونظر طريف من خلال منظاره المعظم ثم صاح: إن الطائرة غير موجودة!

ونظر أسامة ثم قال في دهشة: حقاً! لقد رَحَلت الطائرة، ولكننا لم نسمع صوتها!

فقال طريف: لقد سمعت صوتاً يشبه أزيزها وأنا نصفُ نائم فى الليلة الماضية، ولكنى لم أنتبه له انتباها جيداً. ويظهر أنهم خافوا عندما وجدوا أن فى الوادي أناساً غيرهم، وقد أنقذوا الأسير.

وقال أسامة: ولا شك أنهم فضلوا العودة عندما وجدوا أنهم لن يستطيعوا الوصول إلى الكنز بسبب الصخور المنهارة التي أفهمهم صابر أنها تسدُّ الطريق إليه. والآن هيا بنا إلى الكهف لنبدأ رحلتنا إلى الممر.

وعاد الأخوان إلى الكهف. ودهشت أختاها عندما رأتهما يعودان عَجَلَيْنِ من غير أن يكون معهما أحد. وقالت إلهام: أين صابر؟!

فصاحت كيكي: في داخل البئر!

ولكن الأطفال كانوا في شُغل عنها، فأخذت تصرخ مغيظَةً محنقة، لأنهم لم يضحكوا. وقال أسامة: لقد ذهبت الطائرة! وكذلك ذهب صابر!

فقالت إلهام: وماذا نفعل الآن؟

فقال طريف: سنذهب للبحث عن ذلك الممر الذي أخبرني عنه صابر، فإذا وجدناه استطعنا أن نصل إلى القرية التي فيها ذلك الرجل جابر، صديق صابر. هل أعددت الطعام الذي سنأخذه معنا؟

فقالت إلهام: نعم! وإلى أين نتجه الآن؟! أنهبط الجبل أم نصعد إلى أعلى؟

فقال أسامة: نصعد إلى أعلى حتى نصل إلى منبع الشلال كما هو مبين بالرسم، ثم نظل فى سَيْرِنا متتبعينَ السَّهام التي تبين الطريق حتى نصل إلى الغابة، ثم نصل إلى طريق يؤدى إلى الممر.

فقالت إلهام: هذا حسن! ولعلنا نقابل أحداً في ذلك الطريق.

فقال أسامة: لا أظن أننا سنقابل أحداً، لأننا لم نر أي شخص يأتي إلى هذا الوادي طول هذه المدة، وقد لفت نظري وادهشني عدم قدوم أحد إلى هذا الوادي الجميل بالرغم من وجود طريق في هذا الممر الذي أخبرنا عنه صابر.

فقالت إلهام: لابد أن هناك سبباً معقولا. والآن هيا بنا!

ولم تكن الرحلة سهلة كما توقع الأطفال، فقد كان سفح الجبل شديد الانحدار، وعانى الأطفال مشقة بالغة فى الصعود، وفى النهاية وصلوا إلى المكان الذي ينبع منه الشلال، فوجدوه يتدفق من فتحة

ضخمة في سفح الجبل، والمياه تنحدر إلى اسفل بقوة كبيرة. فوقف الأطفال قليلا يتأملون ذلك المنظر الفريد، ولكن إلهام كانت متلهفة على الخروج من الوادي فقالت: إلى أين نتجه الآن؟

فقال طريف: سنتسلَّقُ هذا النتوء الصخري وندور حول الجبل.

وكان ذلك النتوء ضيقاً، فسار الأطفال عليه حذرين أشد الحذر.

وكانت كيكي تطير فوقهم وهي تشجّعهم صائحة: امسح قدميك! قطة قطيفة لطيفة !

ولم يتمالك الأطفال أن ابتسموا. فلما انتهوا من اجتياز ذلك المَضِيقِ قال أسامة: هذه هي الغابة التي سنمر من خلالها.

فقال طريف: يحسن أن نستعين بالبوصلة حتى لا نحيد عن الاتجاه الذي حدده لنا صابر.

وسار الأطفال مخترقين الغابة، وأصاب كيكي ضيق شديد من حفيف أوراق الشجر المستمر، لأن الهواء كان يعبث بها دائما. فمضت تقول: هش ش ش ش. ثم قال أسامة: ها قد خرجنا من الغابة.

٦- الوصول إلى الممر

بعد أن خرج الأطفال من الغابة كان ما يزال أمامهم أن يتسلقوا بعض الصخور، فلما تسلقوها وجدوا أنفسهم في مكان منبسط تنمو فيه بعض شجيرات التوت. فجلسوا يستريحون ويتمتعون بأكل التوتِ الناضج الشهي. ولم تتوان كيكي عن التهام مقدار كبير من التوت. ورأت كيكي السحلية تدور برأسها فيما حولها لترى ما يحدث، فصاحت بها: أين منديلك! امسح قدميك. فأجفلت السحلية فزعةً، وضحك الجميع. وبعد أن نال الإخوة قسطهم من الراحة نهضوا واستأنفوا سَيرَهُم حول الجبل، وفجأة وجدوا الطريق المؤدى إلى الممر أمامهم ورأوه على مستوى

أقل ارتفاعا من مكان وقوفهم، وكان الطريق متعرجا، ولكنهم استطاعوا رؤية الممر عن بعد لأنهم كانوا يقفون فى مكان مرتفع. وقال طريف: إنه ممر ضيق جداً، ويخيل إلى أننا سنضطر إلى السير فيه فرادى متعاقبين بعضنا خلف بعض.

فقال أسامة: لا أظن أنك على صواب يا أخي، وأعتقد أن الممر يتسع لمرور عربة كبيرة، ولكنه يبدو ضيقاً لأنه بعيد عنا.

وبدأ الأطفال يهبطون الجبل مرة أخرى ليصلوا إلى الطريق الذي يقودهم إلى خارج الوادي. فلما وصلوا إليه وجدوا أنه مغطى بالعشب والكلأ. فقال طريف: إن هذه الأعشاب النامية تدل على أن أحداً لم يسير فى هذا الممر منذ زمن غير قصير. وكان الواجب على سكان هذا المكان أن يعتنوا بذلك الطريق ويُعبدوه.

وسار الأطفال فى الطريق وقد زادت رغبتهم فى الوصول السريع إلى نهايته. وبعد أن قطعوا شوطاً طويلا قال طريف: أنني أراهن أننا سنرى الممرَّ بعد المنحنى القادم.

ودار الأطفال حول المنحنى التالي ووجدوا الممر الذي يمتد بين الجبل الذي كانوا يتساقونه والجبل الذي يليه. ولكنهم وقفوا وهم في حيرة وعجب، فقد كان الممر مسدوداً بصخور هائلة قد اسود بعضها. وأخيراً قال طريف: ماذا حدث هنا؟! كأنما حدث زلزال عظيم!

فقال أسامة: انظروا إلى هذه الآثار السوداء، وهذه الفجوات التي فى الصخور! لقد نسفت هذه الصخور في أثناء الحرب فسدَّت الممر.

وقال طريف: إن الممر قد أصبح غير صالح للسير فيه، ولن يمكننا عبوره.

فقالت أنسام بصوت مرتجف: هل تعنى أننا لن نستطيع الخروج من هنا؟

فهز طريف رأسه كأنه يقول: نعم. وقال أسامة: لا يستطيع أحد أن يتسلق هذه الصخور المرتفعة الخطيرة. وهذا يفسر لنا السبب الذي من أجله لم يأت الناس ليعيشوا فى هذا الوادي. ويظهر أن معظم سكان الوادي قد قتلوا فى الحرب، وتمكن الباقون من الهرب عن طريق الممر، فلما نُسِفَ لم يستطع أحد الرجوع إلى هنا. ولا شك أن عوضاً وزميليه قد سمعوا بأمر الكنز المخبأ في هذا الوادي، فلم يجدوا بدا من استعمال الطائرة للوصول إليه.

وجلست أنسام على الأرض وبكت وقالت: لقد ظنت أننا سنترك هذا المكان المنعزل، ولكننا لن نستطيع مغادرته، ولن يأتي أحد لإنقاذنا!

وجلس الباقون بجانبها وقد شعروا باليأس وخيبة الأمل، فقد تبخر أملهم في أن يعبروا الممر ويصلوا إلى جابر ويخبروه بأمر الكنز. وقالت إلهام: فلنتناول بعض الطعام لأن هذا ينعشنا قليلا.

ونظرت كيكي إلى أنسام التي كانت تبكى وقالت لها: امسح قدميك!

فضج الأطفال بالضحك، وقال أسامة لكيكي: أيتها البلهاء! إنك لا تدرين فى أي ورطة نحن الآن! ولكنكِ تستطيعين الطير فوق هذا الحائط الذي يسد الممر. أليس كذلك؟! ومن المؤسف أننا لا نستطيع أن نربط رسالة إلى رجلك ونرسلك إلى جابر!

فقالت أنسام: ولماذا لا نستطيع ذلك؟ فقال أسامة: لأن كيكي ستمزق الرسالة بمنقارها، ولأنها لن تعرف لمن تذهب بالرسالة.

وبعد أن تناولوا الطعام شعروا بالتحسن والانتعاش، وانبسطت نفوسهم بعض الانبساط وهدأوا ... وقالت إلهام: لم يعد سوى أن نعود إلى الكهف ثانية.

فقال طريف مبتئسا حزينا: نعم.. لم يبق سوى أن نعود أدراجنا، ونرجع من حيث أتينا.

ثم لم يلبثوا أن بدءوا رحلة العودة، ومضوا في طريقهم صامتين. وكانت أنسام أكثرهم حزناً ففكر طريف أن يُسرى عنها فقال: ما رأيكم فى أن نقوم بالبحث عن الكنز بأنفسنا!

وتوقف الإخوة عن المشى لحظات وهم يفكرون في اقتراح طريف، وصاحت أنسام: حسناً!! هذا جميل!

وقال أسامة: ولم لا؟! لقد رحل عوض وزميلاه واختفى صابر، ولم يبق هنا أحد غيرنا، ومن أجل ذلك نستطيع البحث عن الكنز، وخاصة أننا فقدنا الأمل في الوصول إلى جابر.

فقالت إلهام: أنني أحب البحث عن الكنز، فمتى نبدأ؟

وقال أسامة: لنفرض أننا وجدنا الكنز، فهل ننال جزء منه؟

وقالت إلهام: أرِنَا الخريطة التي تبين الطريق إلى الكنز.

فأخرج طريف الورقة ونشرها أمامهم وقال: انظروا إلى هذه العلامات التي تحدد الطريق، وانظروا إلى هذه الصخرة الغريبة التي تشبه رجلا ملتفا فى عباءة. فإذا وجدنا هذه الصخرة عرفنا أنها علامة تبين الطريق لنا.

فقالت إلهام: وما هذا؟! أهي شجرةُ مائلة؟ وأين نبحث عنها؟ إننا لا نستطيع أن نجول على سفح الجبل كله بحثا عن الصخور الغريبة والأشجار المائلة.

فقال طريف: حقا! إننا لا نستطيع، ولكن صابراً قد رسم طريقاً من الكوخ حتى أعلى الشلال فنستطيع أن نبدأ بحثنا حيث تنتهي عند أعلى الشلال، ومن هناك نبحث عن الشجرة المائلة ونذهب إليها، ومن عند الشجرة نسير فوق هذا الطريق الصخري الذي رسمه صابر حتى

نصل إلى جدول ماء صغير، وهناك نبحث عن هذه الصخرة الغريبة الشكل، فإذا وجدناها فإن الكنز في مكان قريب منها.

فقالت أنسام: إذا هيا بنا لنعود إلى الشلال من فورِنا، ونبدأ بحثنا عن الكنز. هيا بنا.

وقال أسامة: لن يكون الكنز ذا فائدة كبيرة لنا ما دمنا محصورين فى هذا الوادي، ولكنه عمل مثير على أية حال، ويكفى أننا سنعثر على ما لم يستطع عوض وزميلاه أن يعثروا عليه.

وسار الأطفال عائدين إلى الشلال وقد امتلأ خيالهم بصور جميلة براقة عن الكنز. وقال أسامة: يا ترى! ما الذي سيقوله سمير عندما يعلم أننا وجدنا الكنز؟! إنه سيتمنى لو أنه كان معنا. وقد طالما قال لنا إننا نخرج من مغامرة لتندمج فى مغامرة أخرى.

وعندما وصل الأطفال إلى الشلال كانت الشمس قد مالت المغيب، فتداولوا الأمر فيما بينهم، وقرروا أن يبدأوا بحثهم عن الكنز فى اليوم التالي. ثم عادوا إلى كهفهم لينالوا قسطاً من الراحة استعداداً للغد..

الفصل الرابع

١- الطريق إلى الكنز

استغرق الأطفال فى نوم عميق لشدة تعبهم، وبسبب المجهود الذي بذلوه فى ذلك اليوم، ومضى الليل وهم مستغرقون في نومهم، فلما أسفر الصبح استيقظوا، وخرجت أنسام إلى مدخل الكهف، ونظرت إلى مظاهر الطبيعة على مدى بعيد، ثم قالت: إن هذا اليوم لطيف، فالحرارة معتدلة، والنسيم عليل، والجو مناسب لكي نذهب للبحث عن الكنز.

وأحضرت إلهام بعض عُلب الطعام لكى تجهز طعام الإفطار، وقالت: من حسن الحظ أننا أحضرنا كمية كبيرة من هذه الأطعمة المحفوظة من كوخ عوض. يا ترى هل هناك بقايا من العلب التي خبأناها بين الشجيرات؟

فقال طريف: نعم! إنها ما زالت حيث تركناها، وقد أخذت منها علبتين اثنتين من أجل صابر، ويمكننا أن نُحضِرَ ما نحتاج إليه من العلب فى أي وقت.

وجلس الإخوة يتناولون طعامهم عند مدخل الكهف ... فلما شبعوا قال أسامة: هيا بنا نبدأ رحلتنا بحثاً عن الكنز، فإننا إذا بدأنا مبكرين كان لدينا متسع من الوقت للبحث.

وقال طريف: يحسن بنا أن نأخذ شيئاً من الطعام معنا.

فقالت إلهام: طبعاً.. إننا سنجوعُ ونحتاج إلى الطعام، وليس معقولا أن نرجع كل الطريق الذي سنقطعه من أجل الطعام، ولو قد فعلنا ذلك لكان هذا دليلا على الحمق والغباوة جميعا؛ لأننا سنقضى وقتنا بين ذهاب للبحث وعودة للأكل ... فضحك الإخوة جميعاً، وقال أسامة: علينا أن نبدأ رحلتنا من المكان الذي ينبع منه الشلال، فهيا بنا إليه.

وساروا جميعاً حتى وصلوا إلى ذلك المكان، فوقفوا يتأملون المياه المتدفقة، وأثار ذلك المنظر كيكي فمضت تملأ الدنيا صياحاً فأبعدها طريف عن كتفه وهو يزجرها ويصيح بها: كفى صباحاً في أذني.

ومضت كيكي تحلق فوق الأطفال. وقالت إلهام: والآن أين الشجرة المنحنية؟! إنني لا أرى شجرةً بهذا الشكل.

فقال طريف: لا تقولي إنه لا تُوجَدُ شجرة بهذا الشكل

وأخذ يدور بعينيه في جميع الاتجاهات ثم قال: يُخَيَّلُ إلى أنه ليس هناك شجرة بهذا الشكل حقيقة!

وكانت الشجراتُ القليلةُ الموجودة مستقيمة كلها. وصاحت أنسام فجأة: هذه هي الشجرة! انظروا إلى أسفل على سفح الجبل!

ونظر الجميع إلى حيث أشارت أنسام، فرأوا شجرةً ساقها غير مستقيمة، ومنحنية انحناء ظاهراً. فتوجه الإخوة إليها. وقال طريف: هذه هي العلامة الأولى.

فقالت إلهام: بل هي العلامة الثانية؛ لأن العلامة الأولى هي الشلال.

فقال طريف: حسناً! فلتكن العلامة الثانية إذا. والآن.. هيا بنا إلى العلامة الثالثة وهي امتداد صخري أسود اللون.

ولما وصل الاطفال إلى موضع الشجرة المائلة أخذوا يدورون بأبصارهم فى جميع الاتجاهات بحثاً عن العلامة الثالثة، وكان طريف أول من وقع نظره عليها. وظهر أن الوصول إليها عسير، إلا أنه لم يكن من الأمر مفر. وبدأ الأطفال يتسلقون الصخور المؤدية إلى تلك الصخرة السوداء مستعينين بالنباتات وفروع الشجيرات. وأخذ طريف يعاون أنسام، ولكن إلهام رفضت أن يُساعِدَها أسامةً، وخاصةً أنها تعلم أن السحلية مختبئة فى مكان ما من ملابسه وقضى الإخوةُ الأربعةُ زهاء نصف ساعة فى تسلق الصخور حتى وصلوا إلى الصخرة السوداء وقد تلاحقت أنفاسهم من التعب. وأجرى طريف أصبعه على الصخرة وقال: إنها ملساء جداً!

ولكن إلهام كانت تريد مواصلة البحث. فقالت: ملساء أو غير ملساء! لا مفر من أن ننتقل إلى العلامة التالية.

وقال أسامة: أظن أن العلامة التالية هي جدول ماء. أليس كذلك؟ أنني أود أن أغسل وجهي ويدى بعد هذا التسلق العنيف.

وأخذ الأطفال يبحثون عن الجدول، ولكن جهودهم لم تُكلّل بالنجاح. وبعد أن بلغ منهم التعب مبلغاً كبيراً قال أسامة: فلنقف ساكنين. احبسوا أنفاسكم وحاولوا الإنصات لعلنا نسمع خرير الماء.

فوقف الجميع ساكنين. ولكن كيكي أخذت تنصحهم قائلة: هش ش ش، فزجرها طريف بعنف فصاحت غاضبة، ثم لزمت الصمت، وعندئذ استطاع الجميع أن يسمعوا صوت جريان الماء. وصاحت أنسام: أنني أسمع خرير الماء! إنه يصدر من هذا المكان!

وأسرعت إلى مكان مُعشوشب تغطيه الأزهار، وهناك كان الجدول ينساب بين هذه الأزهار والأعشاب. وصاحت أنسام: هذه هي العلامة الرابعة! والآن هيا إلى الخامسة.

وقالت إلهام: إننا لسنا بعيدين عن كهفنا كثيراً، فقد خُيّل إلى أنني أسمع صَوْتَ الشَّلال من هنا.

فقالت أنسام: وأنا أيضا خيل إلى أنني أسمعه.

وقال طريف: أين نجد الصخرة الغريبة التي تشبه رجلا ملتفا في عباءة؟

وكان أسامة أسبقهم كلهم إلى كشف مكان الصخرة فقال: هذه هي الصخرة!

ونظروا إلى أعلى حيث أشار أسامة فرأوا الصخرة، ثم أسرعوا يصعدون إليها، فلما وصلوا إليها قال طريف: هذه هي العلامة الأخيرة فأين الكنز؟ ونظرت أنسام حولها كأنما كانت تتوقع أن تراه مبعثراً حول المكان، وأخذ الباقون يبحثون عن كهف أو شبه كهف، ولكنهم لم يجدوا شيئاً. وأصاب إلهام ضيق شديد، فتنهدت تنهيدة طويلة، وقالت لطريف: لماذا لم تسأل صابراً عن تحديد مكان الكنز تحديداً لا يتعبنا ولا . . .

فقال طريف: لم يكن المفروض أن نبحث نحن أنفسنا، وإنما كان المفروض أن نذهب بالخريطة إلى ذلك الرجل المسمى جابراً، ولا شك أنه كان سيستطيع الوصول إلى الكنز عندما يأتي إلى هذا المكان.

واستلقت إلهام على الأرض المغطاة بالعشب وقالت: إني لن أبحث عن الكنز بعد ذلك، فامضُوا أنتم فى بحثكم.

وأخذت إلهام تنظر إلى سفح الجبل فوقها وهي مستلقية على الأرض، ثم جلست فجأة وهي تقول: انظروا! هناك فى أعلى الجبل! إنني أرى فجوة كبيرة أسفل ذلك البروز الناتئ فى سفح الجبل.

وأسرع الجميع ينظرون إلى حيث أشارت إلهام. وقال أسامة: يبدو أنه جحر ثعلب. وأيا كان الأمر فليس في هذا المكان غير تلك الفجوة وهي التي نستطيع البحث فيها، فهيا بنا.

ونسيت إلهام قرارها بعدم مواصلة البحث عن الكنز، ومضت معهم يتسلقون السفحَ إلى حيث موضع الفجوة.. وكان هناك عدة نتوءات بارزة حول الفجوة بحيث كان من المستحيل رؤيتها إلا من مكان واحد وهو الذي استلقت فيه إلهام بالصدفة. وقال لها أسامة: من حسن الحظ أنك استلقيت فى ذلك المكان، وإلا لأمضينا النهار نبحث عن الكنز دون جدوى. فلما وصل الأطفال إلى الفجوة وجدوها متسعة جداً. ونظر أسامة إلى الداخل، ولكنه لم ير شيئا، فقد كان المكان معتما. وأخرج طريف بطاريته وأضاءها فرأي الجميع كهفا صغيراً خالياً. ولكن إلهام قالت: إنني أرى ممراً فى نهاية الكهف.

وطارت كيكي إلى داخل الكهف فقال طريف: ماذا وجدت يا كيكي؟ فأجابت غير صادقة: قطة قطيفة لطيفة.

فضحك الجميعُ وقال طريف: حسناً! على أية حال فإننا قادمون للبحث عن ...، فصاحت كيكي: قطة قطيفة لطيفة

٢- الكهوف العجيبة

كان مدخل الكهف مرتفعا قليلا عن الكهف نفسه. فقفز أسامة طريف إلى داخل الكهف، ثم عاونا إلهام وأنسام على الهبوط إليهما. وأضاء طريف بطاريته وأدار ضوءها فى أرجاء المكان، فرأوا ممرا في نهاية الكهف كما قالت إلهام. وقال أسامة: لابد أن هذا هو مكان الكنز، فليس فى هذه الناحية مكان يشبهه. هيا بنا لنرى ماذا وراء هذا الممر.

وسار الجميع إلى نهاية الكهف حتى وصلوا إلى الممر فساروا فيه. وكان الممر متسعاً عالي السقف، يستطيع رجل كبير أن يسير فيه معتدل القامة. وكان الممر ينحني يميناً ويساراً، ولكنه كان يتوغل داخل الجبل. وظل الجميع سائرين فى طريقهم صامتين، حتى كيكي نفسها ظلت جالسة على كتف طريف فى صمت. وانتهي الممر، ووجد لأطفال أنفسهم عند مدخل كهف آخر، فوقفوا يتطلعون في إعجاب المنظر الفريد الذي وجدوه أمامهم. فقد رأوا نتوءات وأجساماً بيضاء متدلية من السقف فى شكل جميل بديع. ورأوا أجساماً مشابهة لها بارزة الأرض متجهة إلى أعلى، وكان بعضها قد اتصل بتلك الأجسام المتدلية من السقف، فظهرت كأنها أعمدة صاغتها الطبيعة لترفع سقف الكهف. وقالت أنسام: يا له من منظر جميل! أهذا ثلج؟

فقال طريف: لا إنه ليس ثلجً، ولكنه من الحجر الجيري.

ووقف الأطفال مأخوذين بروعة ما يرونه من صنع الطبيعة. وقد بهرهم جمال تكوين تلك الصخور وقد انعكس عليها ضوء بطارية طريف. وقال أسامة: أنني لم أرَ مثل هذا المنظر الجميل قبل ذلك إلا فى بعض الصور، ولكنى لم أكن أظنُّه بهذه الروعة.

وقالت أنسام: يُخَيَّلُ إلى أن أحداً قد حَفَرَها ونقشها، ولا يمكن أن تكون قد نَمَتْ من تلقاء نفسها.

فقال أسامة: إنها لم تنم لأنها ليست كائنات حية. إنها رواسب جيرية تكونت على مر السنين.

ولم تهتم أنسام كثيراً لهذا الشرح، ومضت تتأمل جمال الطبيعة الماثل أمام عينيها. وقالت إلهام: وكيف تكونَتْ هذه الأجسام؟

فقال أسامة: لقد كانت فى أول الأمر أملاحا جيرية ذائبة في قطرات من الماء ترشح من خلال سقف الكهف، ثم تتبخر القطرات المائية مخلفة ذرات دقيقة من الرواسب في مكانها. وتتكرر هذه العملية وتستمر فتتكون هذه الصخور المتدلية من السقف. وفى بعض الأحيان تسقط هذه القطرات المائية على الأرض ثم تتبخَرُ بعد ذلك. وعندئذ تتكون الصخور على الارض ويزداد ارتفاعها شيئاً فشيئاً حتى تلتقى بالصخور الهابطة من السقف.

ووقف الأطفال مأخوذين بروعة ما يرونه من صنع الطبيعة

فقالت إلهام: لارَيْبَ أن هذه العملية تستَغْرِقُ وقتاً طويلا.

فقال أسامة: نعم! إنها تستغرق مئات السنين.

وقالت إلهام: إنني أرى ممراً فى نهاية الكهف فهيا بنا نذهب إليه.

فتوجه الجميع إلى نهاية الكهف العظيم، فوجدوا الصخور المتدلية من السقف قد كونت ما يشبه البوابة، فمروا من تحتها فوجدوا أنفسهم في كهف آخر، ولكن لم يكن سقفه مرتفعاً كسابقه، ولم يكن يتدلى من السقف سوى عدد ضئيل من الصخور. وقالت إلهام: هل تلمع هذه الصخور فى الظلام؟ لقد خيل إلى أني رأيت شيئاً يلمع في سقف الكهف.

فأطفأ طريف بطاريته فشَهَق الجميع لما رأوا، فقد ظهرت فى سماء الكهف آلاف من النجوم الصغيرة اللامعة بعضها أزرق وبعضها أخضر، وكانت تَبْرُقُ وتتلألأ بشكل مثير أخاذ! وهمست إلهام قائلة: ما هذا؟

ولكن أحداً لم يعرف حقيقة النجوم، وظل الأطفال يتأملونها وهي تلالاً وتشع، ثم أضاء طريف بطاريته فبدا السقف لامعاً، ولكن النجوم اختفت. وقالت أنسام متوسلة: أطفي البطارية لأنني أريد أن أرى هذه النجوم مرة أخرى. إنها تلمع كأنها من الفُسْفُور. كم أود لو أستطيع أن آخذ مائة منها لأنشرها فى سقف حجرة نومي.

وضحك الجميع من كلامها، ولكنهم كانوا مأخوذين بروعة النجوم وجمالها. وسار الأطفال فى ممر طويل وخرجوا من كهف النجوم كما أسمته أنسام التي قالت: إن هذين الكهفين مدهشين! إني أشعر كأننا وجدنا كهف علاء الدين. وقد وجدنا كهف الصدى في أول الأمر، ثم كهف الصخور، ثم كهف النجوم. والآن أود أن نجد كهف الكنز!

وظل الأطفال سائرين فى الممر على ضوء البطارية، وفجأة سقط الضوء على شيء لامع على الأرضَ. فقال طريف: انظروا. ما هذا؟

فانحنت إلهام والتقطته. فإذا به حية من الذهب الخالص مُرَصَّعَةٌ بعدد من الأحجار الكريمة التي كانت تلمع وتتلألأ، وقالت إلهام: إن مَشبَكَ الحِلْيَةِ مَكْسور، ولا بد أنها سقطت ممن كان يلبسها.

وقالت أنسام: أهذا جزء من الكنز؟

فقال أسامة: من المحتمل أن تكون هذه الحلية جزءاً من الكنز.

وأخذ الأطفال يتأملون الحلية الجميلة والنقوش المحفورة على الذهب والأحجار اللامعة البراقة، وقالت أنسام: آه! لو أننا نجد كهفا مليئاً بالجواهر البراقة! كم أحب ذلك.

فقالت إلهام: ربما نجد ذلك حقاً. وعندئذ سأتحلى بالجواهر من قمة رأسي إلى أخمص قدمي وأبدو كأنني أميرة.

وكان الممر طويلا ومنحدراً إلى أسفل. وظل الأطفال سائرين فى الممر. ونظر طريف إلى بوصلته فلاحظ أنهم لم يعودوا يتوغلون في جوف الجبل، بل يسيرون فى اتجاه يكاد يكون مُضَادًا لذلك الذي بدأوه وخشى أن ينتهي الممر بأن يجدوا أنفسهم على سفح الجبل دون أن يجدوا شيئاً. ولكنهم وصلوا إلى درجات منحوتة فى الصخر، فهبطوا فيها، ووجدوها نحو عشرين درجة، ثم وجدوا أنفسهم أمام باب ضخم من الخشب المتين، وقد ثبتت به مسامير حديدية كبيرة، وكانت هناك عدة مزاليج حديدية ضخمة، ولكنها لم تكن مُثَبَّتَةً فى أماكنها.

وقال طريف: إنني لا أرى للباب مقبضاً فكيف نفتحه؟

وأخذ طريف يسلط ضوء البطارية على جميع أجزاء الباب وقالت أنسام فجأة: انظر إلى هذا المسمار. إنه أكبر من المسامير الأخرى.

وكان هذا صحيحاً، فضغط عليه طريف، ولكن شيئاً لم يحدث.

فأمسك بحجر ودقه، ولكن بلا فائدة، فقال أسامة: دعني أحاول فتحه.

ثم أمسك المسمار وحركه يميناً ويساراً فخيل إليه أنه تحرك قليلا. فأعاد الكرة ثم قال: فلأجرب طريقة أخرى. وأخذ يديره فدار المسمار حول نفسه، وانفتح الباب. وأطفأ طريف بطاريته خشية أن يكون أحد خلف الباب فيراهم، مع أن الضجة التي أحدثوها عند فتح الباب كانت

كفيلة بتنبيه أي شخص يكون في الداخل. وهمست أنسام: إن المكان ملى بالناس!

٣- الكنز

وقف الأطفال وقد حبسوا أنفاسهم وجلين، وأخذوا يحملقون في هؤلاء الناس الصامتين الذين كانوا واقفين ساكنين لا يتحركون. ينظر بعضهم إلى الأطفال وينظر بعض آخر فى اتجاهات أخرى. وكانت عيونهم تلمع فى ذلك الظلام المخيف الذي يسود المكان، وأسنانهم ينبعث منها بريق وأذرعهم وأعناقهم مُثْقَلَة بالجواهر، وانكمش الأطفال وتداخل بعضهم فى بعض وهم يعجبون لصمت هؤلاء الناس. وفجأة طارت كيكي وحطَّتْ على كتف إحدى السيدات، ولكن المرأة لم تتحرك. فدهش الأطفال، وسألت كيكي المرأة: أين منديلك؟ ولكن المرأة لم ترد عليها، فصاحت بها: ضع البراد على النار! وجزع الأطفال من أجل كيكي، فماذا تفعل لها المرأة؟ ولكن لم يبد على كيكي أنها خائفة. وقالت أنسام: تعالَوْا لنَعود من حيث أتينا، فإني لا أحب هؤلاء الناس الصامتين.

ولكن أسامة دخل من الباب فجأة وسار إلى المرأة التي تقف كيكي على كتفها، وتفرس في وجهها وعينيها اللامعتين ثم صاح إنها تمثال!! إن عينيها عبارة عن جوهرتين!

لا يصدق إخوته ما يسمعونه، ولكن كلمات أسامة أزالت خوفهم وطمأنتهم. ولما رأوه يمشى مطمئناً بين التماثيل دون خوف أو وجل تقدم طريف وإلهام إلى الداخل، ولكن أنسام ظلت واقفة فى مكانها تراقبهم، ولم تجرؤ على الدخول فى أول الأمر. فأما وجدت نفسها وحيدة استجمعت شجاعتها وتقدمت من المرأة التي وقفت كيكي على كتفها فوجدتها تمثالا كما قال أسامة. وكان تمثال المرأة محلى بالجواهر التي لا تقدَّر بثمن. وكانت ملابسها مرصعةً بأحجار الماس والياقوت والزمرد. فبدا ثوبها آيةً فى الجمال، فقد غطته هذه الأحجار الكريمة الخضراء والحمراء والزرقاء. وكان معظم تلك الجواهر الثمينة مركبة في حلى من الذهب الخالص، ونقشت أبدع نقش. وكانت الأصابع محلاة بمجموعة من الخواتم الجميلة النادرة، ودار حول وسط التمثال حزام لم تَرَ أنسام أجمل منه قط.

وقال أسامة: أعتقد أن هذه التماثيل قد نُقِلَتْ من بعض المتاحف إلى هنا.

فقالت إلهام: ولماذا ينقلونها من أماكنها.

فقال طريف: لعل بعض الأشرار انتهزوا فرصة الحرب وسرقوها من المتاحف وخبئوها هنا، حتى تتاح لهم الفرصة لبيعها.

فقال أسامة: لا بُدَّ أن هذه الجواهر تساوى مبلغاً عظيما من المال. لقد ذُعِرْتُ فى أول الأمر عندما رأيت التماثيل وظننتها أناسا أحياء.

فقالت أنسام: وكذلك أنا، ولم أستطع احتمال رؤيتهم صامتين لا يتحركون أو يتكلمون، وقد كدت أصرخ من الخوف.

وقالت إلهام: لو لم نكن حَمْقَى لفَطِنَّا إلى أنها مجموعة من التماثيل.

وكان أسامة قد أخذ يسير فى الكهف، فصاح من خلف التماثيل: لقد وجدت كهفا آخر!

فأسرع إخوته إليه ليروا ذلك الكهف الجديد الذي عثر عليه. ودلف الأطفال إلى الكهف الجديد، ولكنهم لم يجدوا به تماثيل مثل تلك التماثيل التي فى الكهف السابق، ولكنهم وجدوا لوحات بعضها مربع الشكل وبعضها مستطيل والآخر بيضاوي. فلما فحصوها قال طريف: إنها صُوَرَ!! يا ترى! من أين جاءت هذه الصور؟

وقال أسامة: إنها صور ضخمة وقديمة جداً، ولا شك أنها غالية الثمن وتساوى ثروة ضخمة. وقد سمعت أن بعض الصور تَقَدَّرُ قيمتها بمليونين أو ثلاثة ملايين من الجنيهات!

فملقت أنسام دَهِشَةً وقالت: لم أكن أظن أن الدنيا فيها مثل هذه النقود الكثيرة!

وأخذ الأطفال يتأملون الرسوم، ولكنها لم تعجبهم، فقد كان بعضها الرجال عابسين وبعضها الآخر يمثل مناظر لا تستهويهم. وقال طريف: حقا! إنها لقية ثمينة. ولو استطاع عوض ورجاله أن يجدوها لربحوا مالا كثيرا

فقال أسامة: طبعا! وقد أحضروا تلك الصناديق الكبيرة لكى يملئوها بهذه الأشياء وينقلوها بالطائرة دفعة بعد دفعة. ولكن ذلك الرجل صابراً سخر منهم، وأخذهم إلى مكان انهارت فيه الصخور، وأوهمهم أن كهف الكنز خلف تلك الصخور، فيئسوا وعادوا من حيث أتوا.

فصاحت أنسام مبتهجة: وقد وجدنا نحن كل شيء... !!

وسار أسامة إلى نهاية الكهف وهو يقول: يا ترى! أما زال هناك كهوف أخرى ؟!، ثم استطرد: نعم! هذا هو كهف آخر.

ودخل الجميع إليه وقال طريف: ما هذا؟! إنها كتب قديمة! فقال أسامة: نعم! ولكن بعض الكتب القديمة تكون لها قيمة علمية كبيرة.

فقال طريف: إن هذه الكهوف تحوى كنوزاً لا تقدر بمال. وقد كان عوض ورجاله يريدون سرقتها والاستيلاء عليها.

وكانت إلهام قد أخذت تستكشف المكان فعثرت على كهف جديد، وصاحت: لقد وجدت كهفا آخر!! إن به صندوقاً كبيراً! وهذا صندوق ثان.. وثالث ... وصناديق كثيرة!! يا ترى! ماذا بها؟ !

وأسرع الجميع إليها، وتعاون طريف وأسامة على فتح صندوق منها، فلما انفتح الصندوق وقف الجميع يحدقون فى أكداس الذهب التي رأوها، ثم أسرعوا يفتحون الصناديق الباقية فإذا بها مفعمة بالجنيهات الذهبية. وقالت أنسام: كإني فى حلم جميل. إننا ننتقل من كهف إلى كهف أعجب منه، وقد بدأنا بكهف الصخور، ثم كهف النجوم، وبعد ذلك كهف التماثيل المرصعة بالجواهر، وكهف الصور، يليه كهف الكتب الثمينة، والآن نجد كهف الذهب!! إني لا أصدق عيني!!

وجلس الأطفال فوق بعض الصناديق المغلقة وهم في دهشة من أمر هذه الكنوز التي عثروا عليها، وساد سكون تام بعض الوقت. وفجأة سمع الجميع صوتاً غير متوقع: كاك.. كاك.. كاك...!، فقالت أنسام: ما هذا؟

فقال طريف: قد تكون كيكي! ونظر الجميع إليها، ولكنها كانت تجلس فى سكون فوق الصناديق، ثم جاء الصوت من جهة أخرى: كاك! كاك! كاك !!، فقالت إلهام: إنه صَوْتُ دجاجة على وشك أن تبيض... !!

فقال طريف: دجاجة!! هنا فى هذه الكهوف؟ !

وأشارت إلهام إلى بضع درجات في نهاية الكهف وقالت: إن الصوت يأتي من هناك!

وتقدم طريف من السلم وارتقاه، فوجد بابا صغيراً فدفعه بحذر ثم أطل من فُرْجَتِهِ. وسأله أسامة: ماذا وجدت؟ فقال طريف في دهشة: إنها حجرة صغيرة مفروشة، وهناك مائدة عليها طعام ومصباح موقد!

فقالت إلهام: انزل مسرعا حتى لا يكشف أمرنا أحد، إذ ربما كان هناك من يحرس الكنز.

وسمع الاطفال صوتا يتكلم داخل الحجرة الصغيرة، ولكنهم لم يميزوا الكلمات جيداً.. فما الذي سيكون؟

٤- حارس الكنز

بينما كان الأطفال في دهشتهم خرجت من فرجة الباب دجاجة ووقفت تنظر إلى الأطفال. ثم صاحت: كاك !، وفى الحال قلدتها كيكي: كاك! وهمست أنسام خائفة: أهذه الدجاجة هي التي كانت تتكلم؟ فقالت إلهام: لا! إنها ليست هي.

وكان طريف مازال على رأس السلم، فاستجمع شجاعته ودفع الباب، ودخل الحجرة فرأي رجلا شيخاً يقف عند باب آخر وبجواره

امرأة عجوز مثله، فلما رآه الرجل أخذ يتبادل الهمس مع زوجته العجوز. ودفع حب الاستطلاع أنسام إلى أن تلحق بطريف، فلما رأتها المرأة العجوز اندفعت نحوها واحتضنتها وأخذت تقبلها وتدللها. ودهشت أنسام لذلك وصاحت: أسامة! إلهام! تعاليا لقد وجدنا صاحبي الدجاجة.

وهمس أسامة: ماذا يفعل هذا الرجل الشيخ وزوجته العجوز هنا؟

فقال طريف هامساً: علينا أن نعرف ذلك.

فقال أسامة للرجل الشيخ: أهنا أحد غيرك أنت وزوجتك؟

فقال الرجل: لا! ليس هنا أحد غيرى أنا وزوجتي وديدي وهي دجاجتنا. وأنا أقوم بحراسة هذه الكهوف وما فيها حتى يأتي اليوم الذي تعودُ فيه هذه الأشياء إلى أمكنتها السابقة، وأرجو أن يأتي هذا اليوم قريباً.

فقال طريف هامساً: إني أعتقد أن الرجل المسكين لم يعلم أن الحرب قد انتهت منذ وقت طويل. وإني لأعجب من الذي طلب منه حراسة هذا الكنز؟ والتفت طريف إلى الرجل الشيخ وسأله: من الذي كلفك حراسة هذا الكنز؟ !

فقال الرجل: جابر! إنه رجل عظيم وقد ظل يكافح الأعداء مدة طويلة ويقاومهم بقوة وبأس. وقد كشف أنهم خبئوا كنوزنا التي نهبوها فى هذه الكهوف.

فقال أسامة: لقد ظننا ذلك.. قص علينا باقي القصة!

فقال الرجل: لقد دَمَّرَ الأعداء كل ما كان في الوادي. وقد قتل عدد كبير وفر الباقون، ولكني اختبأت مع زوجتي ودجاجاتنا حتى وجدنا جابر، فأحضرنا إلى هنا لكي نحرس الكنز. وقد قال إنه سيعود عندما تتم هزيمة الأعداء..

فقال أسامة: إنه لن يستطيع أن يأتي، فقد انسد الممر، والوسيلة الوحيدة المجيء إلى الوادي هي الطائرة. وهناك جماعة من الأشرار يَسْعَوْنَ للاستيلاء على الكنز، بعد أن حصلوا على بعض المعلومات عنه. وبدا الجزع والحيْرَةُ على الرجل الشيخ، وخُيّل إلى الأطفال أن الرجل لم يفهم كلامهم، فظنوا أن طُول بقائه فى الكهوف بعيداً عن الناس قد أضعف عقله فلم يعد قادراً على الفهم السريع وسألته أنسام: هل تعيش فى هذه الحجرة؟ ومن أين تحصل على الطعام؟! وهل تحب دجاجتك ديدي الحياة في هذا الكهف؟

فقال الرجل: إن لَدَيَّ هنا مخازن كبيرة للطعام، ولدينا كمية وفيرة من الحبوب من أجل دجاجتنا ديدي، وعندما جئنا إلى هنا فى أول الأمر كان عندنا ست دجاجات، ولكنها ماتت واحدة بعد الأخرى، ولم تبق إلا ديدي، ولم تعد تبيض إلا بيضة واحدة كل أسبوعين. وصاحت الدجاجة ديدي: كاك! كاك!، فانطلقت كيكي تقلدها

والدجاجة ديدي تنظر إليها في دهشة.. وكذلك استولى العجب على الرجل وزوجته، فقال طريف: إنها كيكي الببغاء. وهي تجيد تقليد الأصوات والكلمات، وهي تصحبني في كل مكان أذهب إليه. ولكن ألا تريد أن تعلم كيف جئنا إلى هنا؟

فقال الرجل: آه! طبعاً! طبعاً!، ثم التفت إلى زوجته قائلا: ألا تحضرين بعض الطعام لهؤلاء الصغار؟ فذهبت المرأة إلى حيث كانت أواني الطعام وقد أمسكت أنسام من يدها، فقال أسامة: إنها مغرمة بأنسام جداً. وسمعه الرجل فابتسم بحزن قائلا: لقد كان لنا حفيدة صغيرة تشبهها كل الشبه. وفى أحد الأيام جاء الأعداء وأخذوها معهم ولم نرها بعد ذلك.

فقالت إلهام بصوت خافت: يا لهما من مسكينين!! إنهما لا يدريان شيئاً عما حدث فى العالم الخارجي، ولو لم نأت إلى هنا لما قدر لهما أن يخرجا من هذه الكهوف.

وأحضرت المرأة طعاماً لذيذاً، فجلس الأطفال حول المائدة وأخذوا يأكلون ويقصون قصتهم على الرجل الشيخ الذي لم يكن يستطيع استيعاب كل هذه الأنباء عن عالم انقطعت صلته به منذ سنين طويلة.

وانضمت كيكي إلى الدجاجة ديدي التي كانت تلتقط بعض الفتاتِ من تحت المائدة، وبدأت معها مناقشة من طرف واحد، فمضت تسألها: أين منديلك ؟!، فأجابتها ديدي في أدب: كاك!، فانطلقت كيكي تقول: أقفل الباب! ضع البراد على النار!، ثم يبدو أنها أرادت أن تُعَلِّمَها بعض الكلمات، فقالت لها: افتح كتابك ص ٦! قطة قطيفة لطيفة!، فصاحت الدجاجة ديدي: كاك! كاك!، ومضت تلتقط الخبز. وضحك الأطفال لهذه المناقشة الطريفة، وأحست السحلية أن هناك طعاماً وفيراً فخرجت تجرى على المائدة. وقال أسامة يقدمها للرجل وزوجته: هذه سحليتي الصغيرة. فقالت إلهام وهي تراقب السحلية بحذر: لا شك أنهما يظنان أننا مجموعة غريبة من الأطفال، لكى نصل هكذا بطريقة عجيبة ومعنا ببغاء متكلمة وسحلية أليفة.

فقال أسامة: لا أظن ذلك. وأعتقد أنهما مسروران لهذا التغيير في حياتهما المنعزلة.

ولما انتهي الأطفال من تناول طعامهم قال الرجل الشيخ :أظن أنكم متعبون. إن لدينا مكاناً جميلا نستريح فيه فى الهواء الطلق. ودهش الأطفال، فمن أين للرجل بالهواء الطلق وهو يعيش في قلب الجبل؟! وظن الأطفال أن الرجل سيأخذهم ويقطع بهم الطريق عبر تلك الكهوف الكثيرة التي جاءوا عن طريقها، ولكنه قادهم من خلال

ممر متصل بالحجرة التي يعيش فيها، وسارت معهم زوجته وهي مازالت ممسكة بيد أنسام. وظل الجميع سائرين في الممر المتعرج حتى وجدوا أنفسهم فجأة فى الهواء الطلق. فقالت إلهام: هذا هو طريق آخر إلى الكنز. ولكنها كانت مخطئة فلم يكن أحد يستطيع دخول الكهوف عن هذا الطريق، فإن ذلك المكان المنبسط الذي كانوا يقفون عليه يشرف على هوة سحيقة تنحدر عمودياً، فكان من المستحيل أن يتسلقه أحد. وجلس الأطفال ينعمون بالهواء الطلق وضوء الشمس بعد طول مقامهم داخل الكهوف. ومضت الدجاجة ديدي تلتقط بعض الأكل من الأرض. وكانت كيكي قد أنشأت صداقة قوية مع ديدي، وكان الأطفال قد أحبوها أيضاً، وأخذوا ينظرون إلى الدجاجة السمينة وهي تلتقط أكلها. وقالت إلهام: أليس من العجيب أن نعثر على الكنز ثم لا نستطيع أن نفعل به شيئاً، أو نرسل خبراً إلى سمير أو والدتنا؟! ولكن المهم أن هؤلاء الأشرار قد غادروا الوادي.

وظهر أنها كانت متسرعة فلم تمض لحظات حتى سمع الجميع صوت الطائرة تعود إلى الوادي، فقال أسامة: أخشى أن يكونوا قد أرغموا صابراً على أن يُدْلِيَ لهم بمعلومات حقيقية عن الكنز، ولذلك يجب أن نكون على حَذَرٍ.

٥- عوض يعثر على كهف الكنز

عقد الأطفال مجلسا لمناقشة الموقف، فقد أصبح من المحتمل أن يكون عوض ورجاله قد استطاعوا معرفة أنباء أكثر عن الكنز. وخشى الأطفال أن يقبل الرجال ويبدؤوا فى نقل الكنز. وقال أسامة: إذا استطاع الرجال الوصول إلى هنا فلن نستطيع صدهم، فهم رجال خطرون ولن يسمحوا لبضعة أطفال واثنين من الشيخ أن يحولوا بينهم وبين الكنز. وأعتقد أن عودتهم اليوم معناها أنهم حصلوا على المعلومات التي تيسر لهم العثور على هذه الكهوف.

ووافق الجميع على ما قاله أسامة. وقال طريف: لو أننا نستطيع الاتصال بسمير! ليس من سبيل إلى ذلك!

وبدا أن الرجل الشيخ وزوجته العجوز لم يهتما بالطائرة، فقرر الأطفال ألا يذكروا لهما شيئاً حتى لا ينزعجا. وقال أسامة: أترون أنه من الأفضل أن نمكث هنا مع العجوزين، إذ ربما يأتي عوض ورجاله إلى هنا؟ أم ترون أن نذهب إلى كهفنا؟

فقالت إلهام: أرى أن نبقى هنا، فإذا جاء عوض ورجاله استطعنا أن نختبئ في كهف الصخور. ويحسن أن يقوم أحدنا بمراقبة المكان حتى نعلم ما إذا كانوا قد عثروا على الطريق أو لا.

فقال طريف: إنك على صواب.

فقال أسامة: إذا استطاعوا الوصول إلى هنا فأعتقد أنهم سيحضرون طائرات أخرى للإسراع فى نقل الكنز، فإن استخدام طائرة واحدة سيجعل نقل الكنز بطيئاً.

وقالت إلهام: لقد نامت أنسام، فالهواء هنا عليل، وسأنام أنا أيضاً.

فقال أسامة: إن من الأفضل أن نقوم بالحراسة عند مَدْخَلَ الكهوف حتى نأمن أن يفاجئنا الرجال.

فقال طريف: هذه فكرة طيبة، ولكني أعتقد أن الرجال لن يأتوا اليوم، فقد مالت الشمس للمغيب.

وقضى الأطفال ليلتهم في حجرة نوم العجوزين، وكانت تتصل بالحجرة التي أكلوا فيها. وكان اهتمام المرأة العجوز بأنسام، فقالت إلهام: إنها تظنها حفيدتها التي فقدتها.

ونام الجميع حتى الصباح فلما استيقظوا تناولوا إفطارهم، ثم ذهب طريف إلى مدخل الكهوف ليقوم بالمراقبة على أن يتبعه أسامة بعد ساعتين. وذهب الباقون إلى كهف التماثيل لكى يتفرجوا عليها مرة أخرى وذهب معهم الرجل العجوز ليشرح لهم تاريخها. وظل طريف جالساً خارج مدخل الكهوف وقد وضع النظارة المعظمة أمام عينه. وأخذ يتأمل الجبال والأشجار والأزهار، وأخذ يبحث عن بعض الطيور

النادرة، ولكن الطيور كانت قليلة في هذه المنطقة. فأخذ يكتسح الفضاء المنبسط أمامه بمنظاره لعله طيراً. وفجأة خيل إليه أنه رأي حركة خاف إحدى الأشجار، فركز منظاره عليها وهو يتساءل: أهو طير أم حيوان ذلك الذي كان يتحرك.؟. وبعد لحظة اهتزت الشجيرة، ولكنه لم ير طائراً ولا حيواناً، بل رأي عوضاً يطل برأسه من خلفها وهو ينظر إليه من خلال منظار معظم أيضاً. وأحسن طريف بفزع شديد ... وظل الاثنان ينظر كل منهما إلى الآخر من خلال منظاره. وتساءل طريف: هل أتى عوض إلى هنا بالصدفة؟ هل أرغم صابراً على الإفضاء إليه بسر الكنز؟ وشعر طريف بالأسف لأنه لم يكن حذراً حذراً شديداً، وسمح لعوض أن يراه. وقال فى نفسه: لو دخلت إلى الكهف الآن لعرف عوض مكانه في الحال، ويحسنُ أن أبتعد عن الكهف وأتمشى على سفح الجبل، فيتبعني عوض ويضل طريق الكهف.

وفى هذه اللحظة برز أسامة من داخل الكهف قائلا: لقد حان وقت راحتك وسآخذ مكانك!

فقال طريف: لقد جئت في وقت غير مناسب، فإن عوضاً يراقبني من خلال منظاره المعظم ولا شك أنه يراك الآن. وقد كنت على وشك أن أبتعد عن الكهف لكى أضلله، ولكنك جئت الآن فعرف مكان الكهف، ولا شك أنه سيسرع إلى هنا.

فقال أسامة: إذاً يجب أن نُحَذِّرَ الباقين. وأسرع أسامة وطريف إلى الداخل حيث وجدا الجميع فى غرفة العجوزين، فأخبراهم بما حدث وطلبا منهم الإسراع للاختباء. ولكن الرجل العجوز قال: إننا لم نفعل شيئاً لنخاف ونختبئ!

فحاول أسامة وطريف إقناعه بضرورة الاختباء، ولكنه لم يقتنع فأسرع الأطفال وحدهم نحو كهف الصخور. وعندما وصلوا إلى كهف التماثيل خطرت لطريف فكرة فقال: أليس هذا الكهف أفضل لنا؟! فلنقف خلف التماثيل ونتظاهر بأننا تماثيل أيضاً، ولن يتبيننَا أحد لأن الكهف معتم..

وقال أسامة: نعم! انزعوا بعض الأغطية من على التماثيل والتفوا بها وقفوا فى نهاية الكهف.

وقال طريف: قِفُوا ساكنين حتى لا يُقْبَضَ علينا. هش! إنني أسمع صوتاً في الممر إلى هنا.

فصاحت كيكي فى الحال: هش ش ش!، ولكن طريقاً ضربها قائلا: اسكتي أيتها البلهاء وإلا نبهت إلينا.

وغضبت كيكي وطارت بعيداً واختفت في الظلام. وسر طريف لذلك حتى لا تثرثر فتفضحهم. وسمع الجميع صوت أقدام تتلصص، فهمس أسامة: يبدو أنه عوض وقد وصل إلى كهف النجوم، ومن

المؤسف أننا لم نغلق الباب، فربما عجز عن العثور على المقبض الذي يفتح الباب.

وكان الباب نصف مفتوح، فرآه الأطفال وهو يتحرك، ثم ظهرت من خلفه ماسورة مسدس لامعة. وفتح الباب ووقف عوض على عتبته، فلما رأي التماثيل شهق وصاح: ارفعوا أيديكم فوق رءوسكم ! ولكن التماثيل لم تطعه طبعاً. وارتعشت يد عوض التي تحمل المسدس، وأدرك الأطفال أنه يعاني نفس الخوف الذي أحسوه عندما رأوا التماثيل أول مرة. وصاح صوت حاد: امسح قدميك! ووثب عوض من الفزع وارتعب الأطفال. إنها كيكي! وكانت واقفة فوق نتوء صخري فوق الباب فلم يرها عوض وصاح: من هناك؟

فأجابت كيكي: قطة قطيفة لطيفة!، ثم انطلقت تضحك بصوت مدَوٍ، فتراجع عوض إلى الخلف وهو يحاول أن يعرف أي التماثيل الذي يتكلم. وصاحت كيكي: ضع البراد على النار!، ثم أخذت تقلد صوت الدجاجة ديدي. وارتعشت يد عوض، ولكنه تقدم إلى داخل الكهف، وعندئذ تبين أن ما حسبهم آدميين إن هم إلا تماثيل مغطاة وقال عوض يكلم نفسه: يا لي من غبي!! فصاحت كيكي: غبي! غبي! فقال عوض: إنه أحدكم أيها الأطفال الملاعين فانتظروا حتى أَقْبَضَ عليكم.

وتقدم عوض من التماثيل ليشاهدها عن قرب ثم سار إلى الكهف التالي. وسمع الأطفال صوت صياح مرتفع، ثم عاد عوض ومعه الشيخ والمرأة العجوز، وكان يبدو عليهما الخوف الشديد، وتركهما عوض وخرج من الكهف وأغلق الباب، ثم سمع الأطفال أصواتاً حادة

فقال أسامة: هل سمعتم هذه الأصوات؟ لقد أغلق مَزَاليجَ الباب ولن نستطيع الخروج من هنا.

٦- خطة أسامة

شعر الرجل الشيخ وزوجته المجوز بذعر شديد عندما سمعا التماثيل تتحدث، وشاهدا أربعة منها قد دبت فيها الحياة، ولكنهما تبينا الحقيقة عندما خلع الأطفال أغطيتهم وأعادوها فوق التماثيل. وسأل أسامة الرجل الشيخ: ماذا قال لك الرجل الشرير عوض؟

فأجاب الشيخ: لقد أخبرني أنه سيسجننا هنا، وأنه سيعود مع رجاله ليأخذوا الكنز الذي حافظت عليه كل هذه المدة الطويلة.

فقال طريف: إننا لن نستطيع أن نفعل شيئاً لندفع هؤلاء الأشرار.

وقالت إلهام: هيا بنا إلى الحجرة لنخرج إلى الهواء الطلق.

فذهبت أنسام معها، ثم تبعهما الباقون بعد مضى بعض الوقت؛ لأن المرأة العجوز كانت تجهز لهم الطعام. واستلقت أنسام على العشب وقالت لإلهام: لقد بدأت أضيق ذرعاً بهذه المغامرة، لأنه ليس مما يسر أن يشعر المرء أنه عاجز عن فعل أي شيء.

وقالت إلهام: نعم وأنا أيضاً فى أشد حالات الضيق، وأود أن أغادر هذا الوادي فى أقرب وقت.

ومضى وقت والفتاتان صامتتان، وكانت الدجاجة ديدي تنبش الأرض بحثاً عن شيء تأكله وكيكي تكلمها وتثرثر معها كعادتها. وبعد زمن أقبلت المرأة العجوز ومعها طريف وأسامة يعاونانها في إحضار الطعام خارج الحجرة الصخرية فى الهواء الطلق. وبينما جلس الجميع يأكلون ويناقشون ما حدث فى الصباح سمعوا أزيز الطائرة ثم شاهدوها وهي ترتفع في الجو. فقال طريف: لقد رحلوا! يا ترى لماذا رحلوا؟ !

فقال أسامة: ربما ذهبوا لإحضار مزيد من الرجال والطائرات أيضاً

وذهب أسامة وطريف إلى الباب وحاولا، فتحه، ولكنه كان محكم الإغلاق فلم يتزحزح من مكانه، فعادا أدراجهما وقال أسامة: إن التماثيل محلاة بكميات هائلة من الجواهر واليواقيت والاحجار الكريمة.

وأعتقد أن عوضاً ورجاله سينزعون هذه الحلى الثمينة ويتركون التماثيل نفسها.

فقالت إلهام: ولماذا لا ننزع نحن هذه الجواهر ونخفيها فى أي مكان حتى لا يحصل عليها هؤلاء الأوغاد، وبذلك ننقذ تلك الجواهر من أيدى هؤلاء الطغاة الأشرار.

فقال طريف: نعم! إنها فكرة حسنة. فهيا ننزع الجواهر ونخفيها فى أي مكان، وبذلك نحرم عوضاً وعصابته تلك النفائس.

وعندما بدأ الأطفال فى تنفيذ خطتهم غضب الرجل الشيخ وزوجته العجوز ومنعاهم من نزع الأحجار الكريمة والحلى الثمينة عن التماثيل. وحاول الأطفال أن يقنعوهما بأنهم يريدون إنقاذ هذه الجواهر واللآلئ من الوقوع فى أيدى عوض الشرير وأعوانه، ولكن الرجل الشيخ لم يقتنع وظن أن عوضاً لن يجرؤ على سرقة الكنز. فاضطر الأطفال أن يكفوا عن تنفيذ خطتهم كارهين. ومر اليوم بطيئاً متثاقلا وأقبل الليل ونام الجميع نوماً قلقاً. وفى الصباح استيقظوا وخرجوا إلى الهواء الطلق من

خلال الممر المتصل بحجرة العجوزين، وتناولوا إفطارهم هناك وقالت إلهام: أنصتوا! إني أسمع أزيز الطائرة تعود.

فأنصت الجميع وكذلك فعل العجوزان، وقال أسامة: إنها ليست طائرة واحدة! انظروا إنهما طائرتان. وهذه هي طائرة ثالثة ورابعة!

ورأي الأطفال أربع طائرات تَدُومُ حَوْلَ الوادي تريد الهبوط،

فقال طريف: لقد أحضر عوض أسطولا من الطائرات، ولا بد أنه قرر نقل الكنز فى الحال.. آه! لو أننا استطعنا الاتصال بسمير!! ليس هناك طريقة للخروج من هذا الوادي!

ونظر أسامةُ إلى طريف ثم قال قولا مُثِيراً، فلم يستطع الباقون تصْدِيق آذانهم أول الأمر، فقد قال: إن الطريقة الوحيدة للخروج من هذا الوادي هي استعمال الطائرة، وسأقوم بذلك!

فقال طريف مشدوها: كيف ذلك! إنك لا تستطيع أن تقود الطائرة !

فقال أسامة: أنني لن أقودَها، بل سأختبئ فيها حين تغادر الوادي، وأنتهز أول فرصة لمغادرتها وأحاول الاتصال بسمير: ألم نختبئ نحن الأربعة في طائرة وجئنا إلى هنا؟

فتال طريف: إنها فكرة مدهشة، ولكن دعني أذهب أنا.

فقال أسامة: لا! إنها فكرتي وسأقوم أنا بتنفيذها.

وكانت أنسام تخشى أن يحدث مكروه لأسامة، فقالت: لا تذهب إلى مثل هذه المخاطرة وابق معنا.

فقال أسامة: سيبقى طريف معكما، ومعكما العجوزان أيضاً، فهذه هي الطريقة الوحيدة للاتصال بسمير. ولا شك أن الرجال سيقومون بأكثر من رحلة لنقل الكنز، وبذلك يستطيع سمير أن يقبض عليهم متلبسين بالسرقة.

وقالت إلهام: وكيف تخرج من هنا والباب مُغلَقُ؟

فقال أسامة: عندما يأتي الرجال سأنتهز فرصة مواتية ثم أتسلل إلى كهف الصخور، ثم أنسَلَّ إلى الخارج وأذهب إلى حيث تربضُ الطائرات ثم أختبئ في إحداها.

فقالت إلهام: وربما استطعت أن تختبئ فى أحد الصناديق ولن يفكر أحد فى البحث فى صندوق معبأ.

فقال أسامة: إنها فكرة جميلة، وسرعان ما يأتي الرجال، ولا ريب أن العجوزين سينزعجان عندما يجدان الكنز يسرق أمام أعينهما.

وقالت إلهام: إننا لن نتظاهر باننا تماثيل مرة أخرى عندما يأتي الرجال لأنهم سيبحثون عنا حتى يجدونا، ولذلك يحسن نجعلهم يعثرون بنا بسهولة، ولا يتظاهر بأنه تمثال إلا أسامة، وبذلك تتاح له فرصة التسلل خارج الكهوف.

والتف أسامة بغطاء أحد التماثيل ووقف ساكناً ...

فقال أسامة: نعم! إنها الطريقة الوحيدة للخروج. ويحسن أن أذهب الآن قبل أن يأتي الرجال.

وذهب الجميع معه حتى يطمئنوا إلى أنه قد اتخذ له موقفاً طيباً بين التماثيل، وأنه يبدو كتمثال حقيقي. فلما وصلوا إلى كهف التماثيل أخذوا يتنقلون فيه حتى قالت إلهام: هذا نتوء صخري بالقرب من الباب يمكنك الوقوف عليه، وهو في مكان معتم لا تسهل رؤيته.

فقال أسامة: نعم! إنه مكان ممتاز، ولكنى أريد عباءة أو شيئاً مثل العباءة لكى ألف جسمي به. ونزع الأطفال غطاء أحد التماثيل وقدموه لأسامة فالتف به ووقف ساكناً، وأقر الجميع أنه يبدو كتمثال حقيقي.

وقال طريف: إنك تقف في مكان معتم ولن يلتفت أحد إليك، ويحسن أن تبتعد، وعندما يأتي الرجال نتركهم يعثرون علينا بسهولة حتى لا يبحثوا عنا فيعثروا عليك.

فقال أسامة: حسناً! وسأبذل كل جهدي للنجاح، وسأعود إليكم بالنجدة فلا تقلقوا.

الفصل الخامس

١- الفرار

بعد نحو نصف ساعة سمع أسامة وقع أقدام خارج الباب، ثم سمع صوت مزاليج الباب وهي تتحرك، وبدأ الباب ينفتح ببطء، ثم ظهر مُسَدَّس عوض من فَرْجَةِ الباب. ولكن كيكي لم تكن موجودة فى هذه المرة لتكلمه، ولم يكن هناك أحد في الكهوف سوى أسامة والتماثيل الصامتة الساكنة. ودلّفَ عوض إلى الكهف، وتبعه بضعة رجال آخرين. وأخذ أسامة يراقبهم من خلف عباءته وهو يرجو ألا يبدؤوا بنزع الجواهر التي تحلى التماثيل حتى لا يكشفوا وجوده وكان الرجال يحملون بطاريات قوية، فسلطوا ضوءها على التماثيل ثم صاحوا إعجابا بالجواهر واللآلئ التي رأوها. وانكمش أسامة في مكانه حتى لا يلحظه أحد الرجال وتقدم، بعض الرجال من التماثيل وأخذوا يستولون على الجواهر، ولكن عوضا صاح فيهم آمرا اياهم أن يتركوا كل شيء كما هو، فاضطروا أن يعيدوا الأحجار الكريمة إلى مكانها غير راضين. وأحصى أسامة الرجال فوجدهم ثمانية، ولكن صابراً لم يكن معهم، وكان هناك عوض وفرج ورجب وخمسة آخرون. وكان من الواضح أن كل رجلين قد أتيا في طائرة.

وقاد عوض الرجال إلى كهف الصور، وتمنى أسامة لو يذهب الرجال إلى داخل الكهوف حتى تتسنى له فرصة الخروج من الباب والانطلاق هابطاً في سفح الجبل. وأنصت أسامة فسمع أصوات الرجال ووقع خطواتهم تبتعد شيئاً فشيئاً، واستنبط أنهم لا بد قد ذهبوا إلى كهف الكتب ثم كهف الذهب. فألقى العباءة التي يلتف بها وانطلق كالبرق من خلال الباب إلى كهف النجوم. ولم تمض لحظات حتى كان قد وصل إلى كهف الصخور، ثم انتهي إلى سفح الجبل، فتريث قليلا حتى تحقق من عدم وجود رجال آخرين على سفح الجبل، ثم انطلق هابطاً وأخذ يشق طريقه نحو كوخ الرجال حتى وصل إليه، ووجده مفتوحاً فدلف إليه وأعد لنفسه أكلة لذيذة فقد كان جوعان ثم ملا جيوبه ببعض الحلوى والشوكولاتة وذهب إلى حيث كانت الطائرات الأربع وأخذ يتساءل ... أي هذه الطائرات يركب؟! وصعد إليها كلها واحدة بعد الأخرى فوجد فى إحداها كومة من الأكياس والحقائب الفارغة ووجد أنه يستطيع أن يكوم هذه الأشياء فوقه فتخفيه عن الأعين، ولم تكن هناك أية صناديق يمكنه أن يختبئ في داخلها كما اقترحت إلهام.. ولما وجد أسامة أن لديه وقتاً طويلا حتى يحضر الرجال، إذ أنهم سيكونون مُحَمَّلِينَ بأحمال ثقيلة ولن يستطيعوا الإسراع في سيرهم كما أسرع هو.. قرر أن يقوم بجولة حول المكان، فذهب ثانية إلى

الكوخ فوجد معطفاً معلقاً، ففتشه لعله يجد شئيا مفيداً يقدمه لسمير عن هؤلاء اللصوص. ووجد أسامة مفكرة صغيرة أخذ يقلب صفحاتها فوجد بها أرقاماً كثيرة وكتابة غريبة كأنها نوع من الشفرة فلم يستطع قراءتها، فوضعها فى جيبه فقد يستطيع سمير قراءتها. وانطلق ليكمل جولته، فذهب إلى الشجرة التي اختبأ فوقها مع إخوته، فوجد حقائبهم مازالت مخبأة بين الفروع، وفكر فيما إذا كان من الأفضل أن ينزلها أو يتركها في مكانها. وأخيراً فضل أن يتركها فى مكانها لئلا يعثر عليها أحد الرجال. وعاد أسامة إلى جوار الطائرات مرة أخرى يرقب عودة الرجال. فلما تقدَّم النهار أعدَّ لنفسه وَجبَةً شهية وأكل حتى شبع، ثم عاد يراقب الطريق مرة أخرى. وبعد مرور شيء من الوقت لمح الرجال مقبلين عن بعد، فأحصاهم فألفاهم ثمانية.. إذا فقد عادوا جميعاً. وأسرع أسامة يصعد إلى الطائرة التي اختارها، وأخفى نفسه تحت كومة الأكياس الفارغة حتى لم يعد يبدو منه أصبع واحدة. وسمع أسامة أصوات الرجال تقترب وكان الفرح والسرور يبدوان فى لهجتهم بعد رحلتهم الموفقة. ومرَّ الرجال أمام الطائرات ثم ابتعدوا، فعلم أسامة أنهم ذاهبون إلى الكوخ لتناول الطعام، أو لحزم غنائمهم قبل وضعها فى الطائرات وشعر أسامة بالنوم يداعب جفنيه وهو راقد تحت كومة الأكياس الفارغة، وسرعان ما راح في سبات عميق. ولكنه استيقظ

فجأة عندما سمع أزيز محركات الطائرة. ولم يستطع أن يتبين ما إذا كان الوقت نهاراً أو ليلا فقد خشى أن يطل برأسه فيراه أحد. وبدأت الطائرات ترتفع واحدة بعد واحدة، وكانت طائرته آخر طائرة أقلعت. وقال أسامة فى نفسه: إنهم لم يكشِفُوا أمرى! لقد نجحت خُطى. واستغرق أسامة في النوم مرة أخرى، وظلت الطائرات منطلقة إلى جهة مجهولة.

وكان طريف وأختاه فى هذه الليلة ينامون فى الهواء الطلق خارج حجرة العجوزين ومعهم كيكي وديدي. ولكن السحلية لم تكن معهم. فقد كانت تشارك أسامة مغامرته. وكان طريف وأختاه قد قضوا يوما عصيباً، فقد عثر عليهم عوض ورجاله جالسين مع العجوزين في غرفتهما، فأخذو يستجوبونهم ويصيحون بهم وأدخلوا في قلوبهم الرعب. وأخبر الرجلُ الشيخ عوضاً أنه ظل يحرسُ الكنز سنين طويلة، فظن الرجال أن هؤلاء الأطفال هم أولاد العجوزيْنِ، ولم يُعنوا بتبين حقيقتهم. وقال طريف فيما بعد: من حسن الحظ أنهم لم يسألونا كيف جئنا إلى هذا الوادي، وقد فهموا أننا جئنا مع العجوزين منذ وقت بعيد.

وعندما حاول الرجال نَزَعَ الجواهر والحلى عن التماثيل حاول الرجل الشيخ وزوجته أن يعترض سبيلهم. ولكن الرجال اعتدوا عليهما بقسوة فاضطرَ الرجلُ الشيخ أن يبتعد هو وزوجته الباكيةُ، وحاول الأطفال

تهدئتهما وتطييب خاطرها. وأمضوا بقية يومهم في الهواء الطلق وهم يتساءلون عما إذا كان أسامة قد نجح فى مهمته أو لا. وقالت أنسام: أنني واثقة أن أسامة استطاع الفرار عندما أقبل الرجال جميعاً لاستجوابنا.

وانصرف الرجال أخيراً بعد أن أغلقوا الباب بالمزاليج وبعد أن أُخذوا معهم كمية كبيرة من الجواهر، وتمثالاً ثميناً، وبعض الصور والأوراق الهامة. كما حمل اثنان من الرجال أحد صناديق الذهب فيما بينهما. وكانت الليلة شديدة الحرارة فنام الأطفال فى الهواء الطلق، واستيقظوا من نومهم فى منتصف الليل عندما سمعوا أزيز الطائرات، واستيقظت كيكي أيضاً ونقرت ديدي لتوقظها. وقال طريف: أراهن أن أسامة في إحدى هذه الطائرات! وسرعان ما ستاتي النجدة لتنقذنا.

وقالت إلهام لكيكي: كيكي! ماذا فَعَلْتِ بديدي حتى جعلتها تصيح هكذا؟

فقالت كيكي: هش ش ش!!، فضحك الجميع وقد سُرَّىَ عنهم.

وقالت إلهام: أنني مسرورة لسماع صوت هذه الطائرات، وأرجو لأسامة حظاً سعيداً !

وصاح الجميع: حظ سعيد! حظ سعيد!

وشاركتهم كيكي: سعيد! سعيد! وأثار الصياح الدجاجة ديدي نهضت تصيح هي الأخرى: كاك! كاك!

٢- فكرة جميلة

في اليوم التالي عاد الرجال كلهم في الطائرات الأربع، وكانوا قد كشفوا فى اليوم السابق أن أحداً قد استولى على بعض الطعام من الكوخ، ولكنهم لم يستطيعوا تعليل ذلك، فقد كان الأطفال والعجوزان مَسْجُونِينَ فى الكهوف، وذهب الرجالُ إلى كَهْف الكنز وأخذوا يستجوبون الأطفال مرة أخرى، فعلم طريف وأختاه أن أسامة هو الذي استولى على الطعام، ولكنهم تظاهروا بأنهم لا يدرون شيئاً. وبكت أنسام من شراسة الرجال وغلظتهم، فكفوا عن أسئلتهم، وأما العجوزان فلم يكونا يعلمان شيئاً عن الموضوع كله، بل إنهما لم يشعرا بغياب أسامة، فعاد الرجال إلى عملهم من غير ان يهتدوا إلى شيء. وحزنت المرأة العجوز لبكاء أنسام فأخذتها إلى حجرتها وأرادت أن تلهيها عن البكاء، فأنزلت صورة كبيرة كانت موضوعة فوق جزء نائي من الجدار وأرتها إياها، ولكن أنسام لم تلتفت إلى الصورة، بل حملقت في فتحة كبيرة كانت مختفية خلف الصورة وصاحت: طريف! إلهام! أسرعا إلى هنا!

أسرع طريف وإلهام إليها، فأشارت إلى الفتحة التي في الجدار، فسأل طريف الرجل الشيخ: إلى أين تؤدى هذه الفتحة؟

وأخذ الرجال كمية كبيرة من الجواهر وتمثالا ثميناً .

فقال الرجل: لا أدرى! ولكن زوجتي حينما رأتها أول مرة لم تحب منظرتها وأخفتها بهذه الصورة الكبيرة.

فقال طريف: سأتسلق الجدار حتى أصل إليها وأدخل فيها لأعرف ما وراءها. وتسلق طريف الجدار، وزحف إلى داخل الفتحة ثم صاح: إنها تشبه ذلك السرداب الذي يوصل بين كهفنا وكهف الصَّدَى.

وزحف طريف فى السرداب فوجده ينحدر إلى أسفل انحداراً خفيفاً، ثم وصل إلى مكان ينحدر فيه انحداراً شديداً، فعاد طريف أدراجه ونادى أختيه قائلا: اتبعاني وأحضرا حبلا معكما فربما استطعنا الخروج من هنا.

وأعطى الرجل الشيخ إلهام حبلا فأخذته وتبعت طريفا وتبعتها أنسام. وظل الثلاثة يزحفون حتى وصلوا إلى المنحدر: فربط طريف الحبل في صخرة بارزة ثم تدلَّى إلى ممر أكثر اتساعاً، وتبعته الفتاتان وقالت أنسام: إني أسمع صوتاً مألوفاً! إنه صوت الشلال!

وسار الثلاثة نحو الصوت ولدهشتهم الشديدة وجدوا أنفسهم فوق الصخرة المسطحة التي تقع خلف الشلال حيث كانت إلهام وأنسام تقفزان وترقصان منذ بضعة أيام لتجتذبا انتباه فرج، وقال طريف لا أكاد أصدق! لقد وصلنا إلى الشلال عن طريق آخر، ويمكننا الآن أن نذهب إلى كهفنا عن طريق كهف الصدى. سأعود لأتى بالرجل الشيخ وزوجته العجوز. وأسرع طريف عائداً إلى العجوزين وقال لهما:

اتبعاني وسأذهب بكما إلى مكان آمن. وقص عليهما قصة السرداب، فضحك الرجل الشيخ ضحكة ممزوجة بالحزن والحسرة وقال: إننا لا نستطيع التسلق والزحف والقفز، ولذلك سنبقى هنا، ولن نقول للرجال الأشرار شيئاً عنكم: وسَنَضَعُ الصورة في مكانها، وهكذا عاد طريف ومعه كيكي إلى أختيه وأخبرها بما حدث وقال: لقد كنت أود أن آتي بالدجاجة ديدي، ولكن العجوزين كانا سيفتقدانها..

وقالت إلهام: عندما يكشف الرجال اختفاءنا سيثورون ثورة عارمة.

فقالت أنسام: أرجو ألا يؤذوا العجوزين، فهما طيبان كريمان.

وسار الثلاثة إلى كهف الصَّدَى، حيث أخذت كيكي تصيح وتُثَرْثِرُ وصَدَى صوتها يتردَّدُ بين جنبات الكهف حتى كاد يصيبهم الصَّمَمُ ثم زحفوا في السرداب إلى كهفهم وجلسوا يستريحون، وقالت إلهام: أعتقد أن عوضاً ورجاله قد أفرغوا حمولتهم في مكان ما، ثم عادوا من فورهم ليواصلوا عملهم. والحقيقة إني لم أتوقع أن يعودوا اليوم، بل إني لم أسمع صوت الطائرات وهي قادمة.

فقال طريف: لعلنا لم نسمع أزيز الطائرات لأن الريح غيرت اتجاهها فحملت الصوت بعيداً عنا، وقد اشتدت الريح فعلا الآن.

وقالت إلهام: يجب علينا أن ننتبه جيداً، فقد يأتي سمير بطائرته ومعه أسامة، فإن أسامة لا يعلم أننا هنا!

فقال طريف: هل أستطيع أن أترككما قليلا لأذهب إلى كوخ عوض للاستطلاع، فقد يكون أسامة لم ينجح فى مهمته وكشفوا أمره، وقبضوا عليه وسجنوه فى الكوخ.

فقالت أنسام فى فزع ورعب: هل تعتقد أنهم قبضوا عليه؟!

فقال طريف: لا! لا! أريد أن أفعل ذلك مبالغة في الحيطة، ولكن هل كان الرجال الثمانية فى الكهف هذا الصباح؟ !

فقالت إلهام: لا أذكر عددهم.

وقالت أنسام: إني لا أعرف، فلم أنظر إليهم.

وقال طريف: أظن أنهم كانوا هناك جميعاً.

وانطلق إلى الكوخ حتى وصل إليه، فدار حوله، ثم نظر من النافذة، ولكنه لم يجد أثراً لأسامة طبعاً! وذهب طريف إلى الكوخ المحترق أيضاً فوجده خالياً، وفى ذلك الوقت اشتد هبوب الريح اشتداداً ينذر بقدوم عاصفة عاتية. وسار طريف عائداً ماراً بالشجرة التي تحمل بين فروعها حقائبهم، وكان عَصْفُ الريح شديداً وحفيف أوارق الشجر

عاليا، فلم يفطن طريف إلى صوت أقدام تسير بالقرب منه، وعلى حين فجأة برز فرج من بين الأشجار ورأي طريفاً، فانقض عليه انقِضَاضَ النَّسْرِ وأمسكه من كتفه وقال: أيها الشياطين! لقد سببتم لنا متاعب لا حصر لها، وسنعلمكم الأدب.

وأمسك فرج عصاً غليظة، وأخذ طريف يحاول الإفلات منه، ولكنه لم يستطع وضرب الرجل طريفاً بالعصا ضربة شديدة. فركله طريف برجله، ولم يكن فى المعركة تكافؤ بين المتعاركَيْن، ولكن حدث شيء لم يكن فى الحسْبَان، فقد اشتدَّ هبوب الريح واهتزت فروع الشجرة فسقط شيء منها أصاب كتف فرج، فسقط يتلوى من الألم. وأسرع طريف بالفرار، ثم التفت خلفه فوجد فرجا يحاول النهوض، ولكن حقيبة أخرى سقطت وأصابت رأسه فسكن ولم يتحرَّك، فرجع إليه طريف فوجده غائباً عن وعيه، فأتى بقطعة من الحبل وقيده تقييداً محكما، ثم ربطه إلى الشجرة وقال: لا رَيْبَ أنهم تركوك هنا المراقبة بعد أن كشفوا أن أحداً أكل طعامَهُمْ ..... وفجأة خطرت لطريف فكرة فصاح: لماذا لم تخطر لي من قبل هذه الفكرة؟! يا ترى! هل فات الوقت؟ وانطلق يجرى بأقصى سرعة وهو يقول في نفسه: لماذا لم تخطر لي هذه الفكرة قبل الآن؟! إذا كان هؤلاء الرجال مازالوا فى الكهوف فإني أستطيع إغلاق الباب عليهم بالمزاليج كما فعلوا معنا، وأسجنهم، ولن

يستطيعوا العثور على الطريق الذي هربنا منه، وبديهي، أنه لن يخيرها العجوزان بشيء.

وكانت فكرة جميلة، فلم تكن لدى الرجال أية فكرة عن وجود ممر خلف الصورة، ولن يستطيعوا الخروج من الكهوف. وظل طريف يجرى والهواء يهب من خلفه فيدفعه إلى الأمام، فلما وصل إلى الشلال تمهل قليلا خشية أن يفاجأ بالرجال أمامه، فلما اطمأن إلى أنهم ليسوا على الطريق عاود انطلاقه نحو الكهوف مرة أخرى، وهو يخشى أن يسبقه الرجال ويخرجوا من الكهوف، ولكنه لم يجد لهم أثراً على طول الطريق، فبدأ يعتقد أن الرجال ربما قرروا ألا يُغَادِرُوا الكهوف حتى تهدأ العاصفة، فإنهم لن يستطيعوا حفظ توازنهم وهم يتسلقون الصخور بأحمالهم الثقيلة والرياح تهب بقسوة. وكان طريف مُصِيباً في تفكيره، فإن الرجال عندما رأوا شدة العاصفة وسرعة الرياح قرروا قضاء الليل في كهف الكنز. وقرَّروا طَرْدَ العجوزين والأطفال من حجرة النوم وقضاء الليل فيها. وطردوا العجوزين من الحجرة، ولما سألوها عن الأطفال أجابا إجابات مبهمة عن وجودهم خارج الحجرة فى الهواء الطَّلقِ. ولم يهتم الرجال بالتحقق من ذلك، وبدأوا يلعبون الورق على ضوء المصباح، فلما وصل طريف إلى الكهوف لم يجد أحداً، فتسأل بهدوء إلى كهف الصخور، ثم إلى كهف النجوم اللامعة ... حتى وصل

إلى كهف التماثيل، فلم يجد أحداً، فخشى أن يكون قد تأخَّرَ كثيراً، فأخذ يتقدم بحذر حتى وصل إلى حجرة العجوزين فرآهما جالسين مع الدجاجة ديدي، وسمع أصوات الرجال في الغرفة الداخلية فأشار إلى العجوزين فتبعاه، فلما ابتعدوا قال لهم: أنني سأسجُنُ الرجال هنا، فهيا بنا نخرج من كهف التماثيل لإني لا أريد أن تبقيا معهم. وخرج الثلاثة وأغلق طريف الباب، ثم أحكم رتاجه.

٣- بعد العاصفة

ما كاد طريف يغلق الباب حتى سقط على الأرض من فرط الاعياء، فقد أتعبته المعركة التي نشبت بينه وبين فرج، وأنهك قواه كثرة الجري وطول المسافة الى قطعها وهو يعدو عدواً سريعاً حتى وصل إلى كهف الكنز لكي ينفّذ الفكرة التي خطرت له ويسجُنَ الأشرار فى الكهوف. وأقبل عليه الرجل العجوز وزوجته جَزَعَيْن، وكان المكان معتما، فتحسس الرجل جيوب طريف حتى عثر على بطاريته فأضاءها، وقالت المرأة: ماذا حدث له؟! وماذا نفعل الآن؟

فقال الرجل: سننقله أولا إلى كهف النجوم حيث نهي له مكانا مريحاً ثم نفكر فيما نعمل.

وتعاون الرجل وزوجته على حمل طريف وصعدا به فى الدرجات المؤدية إلى كهف النجوم وهما يلهثان ويئنان، ولم يستطيعا الذهاب به إلى داخل الكهف، ولكنهما استطاعا الوصول إلى قمة الدرجات فقط وخلعت المرأة العجوز غطاء رأسها - وكان كبيرا - وجعلته وسادة تحت رأسه. ولم تمض لحظات حتى عاد طريف إلى وَعْيه، فجلس وهو يعجب: أين أنا؟! ماذا حدث لي؟! يبدو أني كنت في غيبوبة من أثر المجهود الكبير الذي بذلته . . .. واطمأن الرجل وزوجته عندما تكلم طريف وسأله الرجل: هل أنت أحسن حالا الآن؟

فقال طريف: نعم شكراً لك. إني فى حالة طيبة . . .. ثم استطرد: أليست فكرة حسنةً أن سجنهم داخل الكهوف.؟!

فقال الرجل الشيخ فى حسرة: ماذا يفعلون بنا عندما يكشفون ذلك؟

فقال طريف: لن يفعلوا شيئًا.!! فكيف يمكنهم عمل أي شيء وهم لا يستطيعون الخروج من الكهوف: ونهض طريف وهو مازال متعباً، وأحس أن ساقيه لا تقويان على حمله وقال: سأذهب إلى مدخل الكهوف لأتبيَّنَ ما إذا كانت العاصفة قد انتهت أو مازالت قائمة. فلا شك أن إلهام وأنسام فى قلق شديد الآن .

وتحامل طريف على نفسه حتى وصل إلى مدخل الكهوف فوجد، الريح تزأر وتَصْفِرُ. فقال فى نفسه: إنني لن أستطيع الوصول إلى كهفنا فى هذا الجو العاصف، وستشعُرُ إلهام وأنسام بالخوف وحدهما، ولكن ما باليد حيلة، وعلى أن أقضى الليلة هنا. وعاد إلى كهف النجوم وأخبر الرجل وزوجته أنه سيقضى الليلة معهما. وجهز الجميع لأنفسهم مكاناً ينامون فيه. واستلقى طريف وهو ينظر إلى سقف الكهف ويتأمل النجوم الرزق والخُضْرَ، وهي تلمع وتخبو، وتضفي جوا سحريا عجيباً على المكان. وظل يرقبها وهو يعجب من أمرها حتى غلبه النعاس فنام. وفى الصباح استيقظ الرجل الشيخ وزوجته العجوز

أولا. ولكنهما حَرَصَاً على ألا يزعجا طريفاً، وتركاه نائماً حتى استيقظ من تلقاء نفسه. وما كاد يفتح عينيه، وقبل أن يكتمل انتباهه رأي النجوم البراقة تلمع فى سقف الكهف، فعرف المكان الذي هو فيه. ونظر إلى ساعته فرأي عقربيها يشيران إلى منتصف الساعة الثامنة، فقال: يا ترى! ماذا يفعلُ الرجالُ الآن؟! ثم نهض وذهب إلى الدرجات المؤدية إلى الباب الضخم الذي أغلقه، ولكن قبل أن ينزل سمع صوت طرقات شديدةٍ على الباب، فقد كشف الرجال أنهم سجنوا فابتسم طريف وهو يراهم يتجرَّعُون من الكأس التي سَقَوْهُ منها هو وإخوته. وظلت الضربات والركلات تنهال على الباب وأصوات الصياح تصل

إليه من خَلْفَ الباب المغلق، ولكن الباب لم يهتز ولم يتأثر فقد كان ضخماً متيناً، وفجأة سمع طريف دوياً مرتفعاً جعله يقفز! لقد كان صوت طلقة مسدس. وبدأ الرجال يطلقون الرصاص على الباب محاولين تحطيمه، وتراجع طريف إلى كهف النجوم خشية أن تخترق إحدى الرصاصات الباب وتصيبه، ولكن الباب كان من الخشب السميك. وظل الرجال يصيحون، ويطلقون الرصاص، ويدقون الباب، حتى تعبوا ولم يتأثر الباب. فكفُّوا عن ذلك وخيم السكون. فعاد طريف إلى.. العجوزين وأخبرها بما حدث فازداد خوفهما. فقال لهما طريف: يحسن بكما أن تأتيا معي إلى كهفنا فلدينا هناك طعام كثير. ولكن العجوزين رفضا أن يتركا المكان الذي أمضيا فيه كل هذه السنين. فقال طريف: سأذهب لإحضار إلهام وأنسام إلى هنا. وليس هناك ما نخافه من أولئك الرجال، وهم لو أسعفهم الحظ وعثروا على الفتحة التي خلف الصورة. فلن يستطيعوا الوصول إلى أبعد من كهف الصدى.

واستأذن طريف من العجوزين وانطلق في طريقه نحو الكهف الذي تنتظره فيه إلهام وأنسام، وكانت العاصفة قد انتهت فلم يجد صعوبة كبيرة فى طريقه. ولما وصل كانت أختاه تُطِلانِ من فتحة الكهف فاستقبلتاه مرحبتين. وقالت أنسام: لقد كنا في أشد القلق بسبب غيبتك؟ !!

وقالت إلهام: ماذا حدث؟

فقال طريف: لقد جئتكما بأنباء عظيمة! أعظم الأنباء في العالم! فقد سجنت عوضاً ورجاله في كهف الكنز، فما رأيكما؟ !

فصاحت الأختان: هذا مدهش!! وماذا حدث للعجوزين؟ !

فقال طريف: لقد أخرجتهما أولا، وقابلت فرجا عند الكوخ المحترق وقيدته وربطته إلى الشجرة التي اختبأنا فوقها ذات مرة.

فصاحت أنسام: هل تشاجرت معه وتغلَّبْتَ عليه؟

فقال طريف: ليس ذلك يا أختاه. ولكنه ضربني فركلته. وفي تلك اللحظة هزت الرياح فروع الشجرة، فسقطَتْ حقيبتان من حقائبنا فوقه،

فوقع على الأرض فاقِدَ الوَعْيِ. وقد كان ذلك مفاجأة لي كما كان مفاجأة له.

فقالت إلهام: من حسن الحظ أننا تركنا حقائبا فوق تلك الشجرة.

وقص طريف كل ما حدث بعد ذلك عليهما. وقال: لقد رفض العجوزان أن يغادرا مكانهما، ولا نستطيع أن نتركهما هناك دون طعام. وأرى أن نذهب لتقيم معهما.

فقالت أنسام: إنني لم أكن أحب أن أترك هذا الكهف، ولكنهما كانا طيبين معنا. وهل الدجاجة ديدي معهما؟ !

فقال طريف: ياه!! لقد نسيت ديدي! إنها داخل الكهف. وأرجو ألا يذبحها الرجال ويأكلوها

وكان هذا خاطراً مؤسفاً، فوَجَمَتْ أنسام لحظة، ثم أخذوا يجمعون حاجاتهم وبعض عُلب الطعام، وكانت كيكي طوال هذا الحديث جالسة على كتف طريف وهي تعبث في شعره بمنقارها فرحة بعودته. وانطلق الثلاثة نحو كهف الكنز مَرَّةً أخرى وكيكي تَطِيرُ أمامهم حتى وصلوا إليه، فاستقبالهم العجوزان مرحبين. وفرحت المرأة بعودة أنسام وأخذت تداعبها وتلاطفها. وكان الأطفال قد شَعَرُوا بالجوع فجلسوا جميعاً يأكلون وقال طريف: ما علينا إلا أن نجلس هنا وننتظر، فالباقي مرهون بتصرف أسامة.. يا ترى أين هو الآن؟

٤- رحلة عجيبة

ماذا حدث لأسامة؟ لابد أنه قضى وقتاً حافلا بالمغامرات!

ظل أسامة نائماً حتى الفجر فلم يستيقظ إلا عندما هبطت الطائرة ولمست عجلاتها الأرض! وأطل أسامة بحذر فرأي صندوقا كبيراً موضوعا فى الطائرة ولم يكن موجوداً من قبل، فحمد الله أن أحداً لم يكشف وُجودَهُ. ولما وقفت الطائرة رأي الرجلين يستعدان للهبوط منها. وسمع صوت الرجال يرحبون بالرجال الذين كانوا في الطائرات، ولكنه لم يستطع تمييز ما يقولون. وأراد أسامة أن يعرف ما يحويه الصندوق الكبير، فوجد أحد التماثيل الثمينة ملفوفاً فى كمية كبيرة من القش، وابتعدت أصوات الرجال، فنظر أسامة من نافذة الطائرة فوجد أن الطائرات قد هبطت فوق أرض صحراوية تحيط بها المياه من جميع الجهات. ثم فطن إلى أنها جزيرة، فعَرَفَ أنه مازال سجيناً فى تلك الجزيرة كما كان سجيناً فى ذلك الوادي، فكيف يمكنه مغادرة الجزيرة؟ وقال فى نفسه: إنها عصابة خطيرة ولابد أن لديها زوارق بخارية سريعة لكى تُنقل عليها المسروقات بعد إحضارها إلى هذا المكان بالطائرات. وتذكر أسامة اقتراح إلهام، فأسرع يخرج التمثال من الصندوق، وخيل إليه أن التمثال مصنوع من الذهب الخالص، ولكنه كان فى شُغُل عن ذلك باحتلال مكان التمثال داخل الصندوق، إذ لا شك أن هذا الصندوق

سيرسل إلى بلد ما، وهناك يمكنه الهرب. ووضع التمثال تحت كومة الأكياس الفارغة حيث كان مختبئاً، وأخفاه إخفاء تاما، ثم أعاد ما تبعثر من القش إلى داخل الصندوق، ثم دخل هو فى الصندوق وجذب غطاءه، ولكنه لم يستطع أن يثبته كما كان. فتركه وهو يرجو أن يظن الرجال أنه انفتح من تلقاء نفسه، فيعيدون تثبيته دون أن يشكوا فى الأمر. وبعد نحو ربع ساعة أقبل رجلان فى عربة وأخذ يفرغان حمولة الطائرات، ولما وصلا إلى طائرة أسامة حملا الصندوق بعناية شديدة، فلما تنبها أن الغطاء مفتوح أسرعا يُحْكِمَانِ تثبيته ولم يدر فى خاطرهما أن به صبيا حيا بدل التمثال. ووضع الصندوق مع الأشياء الأخرى في العربة، ثم انطلقت في طريق غير ممهد وأسامة يهتز داخل صندوقه. ثم خيل إليه أن العربة وصلت إلى الشاطئ. وأحس بعد قليل أن الصندوق يُحْمَل ويُوضع فوق زورق بخاري كان مربوطا إلى الشاطئ. وكان القش الذي يملأ الصندوق يصيب أسامة فى أماكن مختلفة من جسمه فيؤذيه.. وازدادت الحرارة داخل الصندوق، ولكن أسامة كان يعلم أن هذه هي فرصتُه لكى يصل إلى رجال الشرطة ويتصل بسمير. فتحمل هذه المتاعب بشجاعة وصبر، وحمل الرجال الصندوق وأنزلوه إلى جوف الزورق. وبعد قليل وصل إلى سمعه صوت محرك الزورق، ثم انطلق يشق عباب الماء. وكانت رحلة الزورق طويلة، ولما انتهت أحس أسامة أن

الصندوق يُحْمَلُ مرة أخرى إلى الشاطئ، ثم يوضع رأساً على عقب، فكاد أسامة يصيح لفَرْطِ ما عاناه من هذا الوضع. إلا أنه لم يمض إلا قليل حتى رفع إلى إحدى السيارات التي انطلقت به على الفور. وقال أسامة في نفسه: إن هؤلاء الرجال الأوغادَ يحاولون أن يتخلَّصوا من المسروقات تخلصاً عاجلا! من الذي يشتريها متهم يا ترى؟ !

وقفت السيارة، وفرح أسامة فرحا كبيراً عندما سمع صوت صفير قطار، فقد فهم أنهم ينوون شحن الصندوق بالقطار، وأحس أنه يستطيع أن يهرُبَ عندئذ لأنه سيضمن أن مَنْ يتداولون الصندوق ليسوا من أفراد العصابة. وشعر أن الصندوق لم يوضع في القطار، ولكنه ترك فى فناء المحطة، فقرر أنه من الأوفق أن يخرج من الصندوق هنا. وأخذ يُرْهِفُ أذنيه نحو ربع ساعة، ثم بدأ يحاول الخروج من الصندوق، ولكنه كان مُحْكَمًا، فأخذ يصيح ويستنجد، وكان بالقرب من مكانه أحد الحمالين وأحد المسافرين ينتظر القطار القادم. وسمع الحمال الصيحات، فتلفت فى ذُعْرٍ يبحث عن مصدر الصباح، ولكنه لم ير سوى الرجل المسافر، وكان الرجل قد سمع الصياح أيضا فقال للحمال: هناك مَنْ يستغيث بين هذه الصناديق. فذهب الحمال نحوها وسمع صيحات أسامة مرة أخرى، ثم رأي الصندوق يهتز بتأثير حركات أسامة في داخله، فأسرع يفتحه، فخرج أسامة وقد التصق كثير من القش بشعره وملابسه.

وقال أسامة في لهفة: أين مركز الشرطة؟! إني أريد أن أبلغ رجال الشرطة شيئاً هاماً!

فنظر إليه الحمال مشدوها، ثم أشار إلى بناء غير بعيد عن المحطة الصغيرة، فانطلق أسامة يعدو نحو مركز الشرطة، ودخل مسرعا، وقال لرجل الشرطة الذي وجده: أريد أن أُبلغ عن شيء هام! أريد أن أتصل بأحد المسئولين! هل تسمح لي باستعمال الهاتف؟

فبدأ رجلُ الشرطة يعتقد أن الغلام المغطى بالقش مجنون فقال: إنك لا تستطيع استعمال هاتف الشرطة بدون سبب وجيه، فأخبرني عن اسمك أولا.. فقال أسامة: اسمى أسامة، ولدى أنباء هامة أريد أن أبلغها لشخص معين! ولفت الاسم انتباه الشرطي فحملق في أسامة وقال: أسامة! هل أنت أحد الأطفال الأربعة المفقودين!؟... ! وأخرج من درج مكتبه صورة ... نظر فيها ثم أعطاها أسامة، ولدهشته رأي صورة نفسه هو وطريف وإلهام وأنسام وصورة كيكي، وتحت الصورة أسماؤهم وأوصافهم. وقال أسامة مشيراً إلى صورته: نعم إنها صورتي، وأريد أن أتصل بمفتش المباحث سمير لأمر عاجل.

وبدا الاهتمام الشديد على الشرطي فأسرع يلتقط سماعة الهاتف واتصل برئيسه وقال: لقد وصل أحد الأطفال المفقودين إلى هنا الآن،

واسمه أسامة، وهو يريد أن يتصل بمفتش المباحث سمير... نعم يا سيدى حضر...!

ثم التفت إلى أسامة وسأله: هل معك باقي الأطفال؟ !

فقال أسامة: لا! ولكنهم بخير في مكان بعيد. وقد استطعت الهرب وجئت لكي أعود إليهم بالنجدة. إنني أريد الاتصال بالضابط سمير.

وتكلم الشرطي فى الهاتف مرة أخرى: إنه يقولُ إِن إخوتَهُ بخير. متى يَصِلُ المفتش؟

وانتهت المكالمة واستدار الشرطي مبتسما نحو أسامة، وقد سَرَّهُ أن هذه القضية المشهورة ستؤثر فى مركزه الصغير فيشتهر اسمه. وحاول الشرطي أن يسأل أسامة عما حدث، ولكن أسامة قال له: أنني آسف! فلا أستطيع أن أذكر لك شيئاً حتى يصل الضابط سمير.

ووصل سمير بطائرته إلى أقرب مطار، ثم ركب سيارة الشرطة السريعة إلى المركز، فلما سَمِعَ أسامةُ صَوْتَها خرج لاستقبال سمير صائحاً: إن لدى أنباء خطيرةً تهمك!!

٥- العودة إلى وادي الكهوف

أسرع سمير بالخروج من السيارة، وأقبل على أسامة يسأله: هل أنت بخير؟! وهل الجميع بخير؟! لقد كادت والدتكم أن تجن لفرط حزنها عليكم.

وقال أسامة: إن لدي أخباراً هامة يجب أن....

ولكن سميراً قال: هيا إلى داخل المركز أولا. فلما دخلا سرد أسامة قصته كلها على مسامع سمير، وهو ينصت في دهشة ويسأل سؤالا أو اثنين بين حين وحين. فلما سمع كيف احتل أسامة مكان التمثال أخذ يضحك وقال: إنني لم أرَ أطفالا مثلكم من قبل. ولا أدري ماذا تفعلون بعد ذلك! وأيا كان الأمر فإن هؤلاء الرجال الذين حدثتني عنهم هم الذين كنت اتعقبهم من زمان، وكنت أعلم أنهم يريدون شيئا في الخفاء ولم أكن أعلم كنهه.

وقال أسامة: في تلك الليلة التي ركبنا فيها الطائرة الأخرى خطأ سمعنا صوت طلقات نارية، فهل كان لك دخل فيها؟

فقال سمير: لقد شوهد اثنان من هؤلاء الأشرار، وكاد يقبض عليهما، ولكنهما شقا طريقهما وهما يطلقان النار، وكادت إحدى الطلقات تصيبني.

وقال أسامة: خذ هذه المفكَّرة ... لقد أخذتها من جيب معطف أحد الرجال وقد تكون مفيدة.

وتناول سمير المفكرة وأخذ يقلب صفحاتها ثم صاح: إنها مكتوبة بشفرة خاصة! وبها أسماء وعناوين جميع أفراد العصابة. إنها ستمكننا من القبض عليهم جميعاً. إنها مفكرة ثمينة حقاً! وإنك تستحق وساماً من أجلها..

وسُرَّ أسامة لذلك، وأسرع سمير إلى الهاتف وأخذ يقوم بعدة اتصالات ويصدر التعليمات والأوامر، فلما انتهى التفت إلى أسامة وقال: سأطيرُ فى الساعة الثانية عشرة في طائرتي ومعي طائرة أخرى وأحد عشر رجلا من رجالى.

فقال أسامة: إني سأذهب معكم أيضاً. أليس كذلك!

فقال سمير: إنني أرى أنه من الأفضل أن تظل أنتَ هُنا. فقد تحدثُ مَعْرَكَة.

فغضب أسامة وقال: إن إخوتي سيكونون هناك! ثم ... ألم أخدع الرجال وأهرب منهم؟! ألستُ أنا الذى استطعت أن أقوم بهذه الرحلة؟

فقال سمير: حسناً! حسناً! ستأتي معنا.

وقال أسامة: ألا نستطيع أن نجد شيئاً نأكله هنا؟!

فقال سمير: سَنَجِدُ. وأنا جَوْعَانُ أيضاً

وعندما أحضر الطعام جلسا يأكلان. وفى أثناء تناول الطعام هَبَّتْ الرياح قوية، ثم أخذت تشتد، فنظر سمير من النافذة وقال: يَبْدُو أن هناك عاصفةً على وَشكِ الهبوب، وأخشى أن تعطلنا عن الطيران.

فقال أسامة: أرجو ألا يحدث ذلك، فسيقلَقُ إخوتي هناك وهم ينتظرون عودتي.

وعندئذ رَنَّ جَرَس الهاتف، فالتقط سمير السماعة واستمع إلى المتكلم ثم وضع السماعة والتفت إلى أسامة وقال: لن نستطيع الطيران الآن! فالمكانُ الذي نَقْصِدُه يتعرَّضُ لعاصفةٍ شديدةٍ، وعلينا أن ننتظر حتى تخفَّ حدة العاصفة، وقد أخبرني رجال المطار بذلك الآن.

ذُعِرَ أسامة وضاق صدره، لأنه كان يريد أن يصلوا إلى الوادي قبل الرجال الأشرار حتى يُعدُّوا لهم كمينا ويقبضوا عليهم متلبسين بجريمتهم. وقال لسمير: كيف عرفت مكان الوادي؟ !

فقال سمير: لقد عرفت ذلك من تلك المفكرة التي أحضرتها معك. إن فيها معلومات قيمة على جانب عظيم من الأهمية. والممر الوحيد المؤدى إلى هذا الوادي قد دُمر فى الحرب، وسيُبدأ في إصلاحه فى هذا العام.

فقال أسامة: آه!! ما الذي حدث لذلك الرجل المريض صابر؟

فقال سمير: لقد وجدتُ عنوانه في المفكرة وأمرت بالبحث عنه أو عن أية معلومات بشأنه، وربما وصل إلى عنه أنباء الآن.

وفى عصر ذلك اليوم دق جرس الهاتف، فتكلم سمير ثم قال لأسامة: لقد عثروا على صابر خارج أحد المستشفيات وهو مشرف على الموت. ولكن الأطباء يبذلون جهدهم لإنقاذ حياته وقد تحسنت حاله.

وقال أسامة: لابد أن أولئك الأشرار قد عَذَّبوه ليدلهم على مكان الكنز الحقيقي، فلما عرفوه تركوه خارج المستشفى وهم واثقون أنه لن يعيش.

فقال سمير: هذا أمر محتمل

ودق جرس الهاتف مرة ثانية، فالتقط سمير السماعة وتحدث قليلا ثم قال لأسامة: إن العاصفة تشتد وسنضطر إلى إرجاء رحلتنا إلى غد. لو لم نكن بعيدين عن والدتك لأخذتك لرؤيتها، ولكني سأطلبها بالهاتف لكن تحدثها.

وحدَّثَ أسامة والدته فى الهاتف، فكادت تطير من الفرح عندما سمعت صوته، وسألته عن إخوته وأخذ أسامة يقص عليها ما وقع لهم. ولكن الدقائق الثلاث وهي مدة الحديث لم تَكْفِ لِسَرْدِ القصة كلها.

وفى اليوم التالي كانت العاصفة قد انتهت وكان الجو صحواً، وكان أسامة قد أمضى الليل فوق سرير صغير أحضر له خاصة، ووضع في غرفة من غرفات السجن. وفى الصباح قال لسمير: هذه أول مرة أنام فيها فى السجن. فقال سمير: وستكون الأخيرة أيضاً، لأن السجن ليس مكاناً جميلا.

وركب سمير وأسامة السيارة واندفعت بهما بأقصى سرعة إلى المطار. وقال أسامة: عندما ترتفع الطائرة في السماء يُخَيَّلُ للمرء أنها تسير ببطء وأن السيارة أسرع منها، وذلك لأن السيارة تندفع بجوار أشياء أخرى فيحس المرء بسرعتها.. فلما وصلا إلى المطار وجدا طائرة سمير وطائرة تشبهها وقد دارت محركاتهما، وبالقرب منهما وقف أحد عشر رجلا أولى قوة وأولى بأس شديد. وقال سمير لأسامة: اصعد إلى طائرتي لأن لي كلمة مع رجالى، ففعل ذلك أسامة. وما لبث سمير أن لحق به مع خمسة رجال، وركب الستة الباقون الطائرة الأخرى. ولم تمض لحظات حتى حلقت الطائرتان فى الجو. وبعد مدة قال سمير لأسامة: لقد اقتربنا من المكان فانظر ... هل تستطيع أن تتعرف على الوادي؟

فنظر أسامة ثم صاح: هذا هو. هذه أربع طائرات جاثمة على الأرض. حذار لئلا يكون الرجال قريبين فيطلقون النار! وهبط سمير بالطائرة ودار عدة دورات واسكنه لم ير أحداً، فهبط بالطائرة فى مهارة

وجرأة وتبعته الطائرة الأخرى. وانتظر سمير لعل أحد الرجال يخرج للاستطلاع، ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل. فهبط من الطائرة وتبعه رجاله وأسامة، وأسرع سمير ورجاله بالانتشار في المنطقة وتفتيشها فما لبث أحدهم أن صاح: لقد عثَرْتُ برجل مُوثَقِ اليدين والقدمين كأنه دجاجة. ولم يكن ذلك الرجل سوى فرج، وقد أصبح في حالة سيئة من تأثير العاصفة والجوع. وذهب الجميع إلى هناك، وقال سمير لأسامة: من الذي قيد هذا الرجل؟

فقال أسامة: لا أعلم! وهاتان حقيبتان من حقائبنا ملقاتان بجواره!

وأمر سمير الرجال بسجن فرج فى الكوخ، ثم انطلق الجميع نحو كهف الكنز. وقال سمير لرجاله: انتبهوا جيداً حتى لا نقع فى كمين. فلما وصلوا إلى الشلال قال أسامة: يجب أن نكونَ على حَذَرٍ فقد اقتربنا من الكهوف، ويحسن أن أسير في المقدمة لأتبيَّنَ الطريق

٦- نهاية مثيرة

كان طريف وإلهام وأنسام مازالوا في كهف النجوم ومعهم الرجل الشيخ وزوجته العجوز. وقالت أنسام: إني أريد أن أخرج قليلا إلى

الهواء الطلق على سفح الجبل، فاليوم صحو جميل، وليس هناك ما تخشاه الآن بعد سجن هؤلاء الرجال. وما كادت تنتهي من كلامها حتى قال طريف: صه! أنني أسمع أصواتا.

وأرهف الجميع آذانهم فسمعوا أصواتاً لناس قادمين فى الممر المؤدى إلى كهف الصخور. فقالت إلهام: لقد أقبل رجال آخرون! هيا! أسرِعُوا واختبئوا. . . . !

وأسرع الجميع يختفون في الطرف الأقصى من الكهف وهم يتعثرون لفرط ذعرهم، وظهر رجل في مدخل الكهف وصاح بصوت آمر: قف! ارفعوا أيديكم وإلا أطلقت النار!

وعرفت أنسام صوت سمير فاندفعت تجرى نحوه صالحة: سمير! سمير!، وتبعها طريف وإلهام يحيون سميراً وأسامة، وتقدم الرجل الشيخ وزوجته العجوز فى دهشة مما يحدث أمامهم، ودهش أسامة أيضاً عندما رأي الجميع فى كهف النجوم. وسأل سمير طريفاً: أين هؤلاء الرجال؟

فقال طريف فخوراً: لقد سجنتُهُمْ فى كهف الكنز!

وكانت هذه أنباء جديدة بالنسبة لأسامة وسمير أيضاً، فانهالت أسئلتهما على طريف، فأخذ يقص عليها كيف أرتهم السيدة العجوز الفجوة المختفية خلف الصورة، وكيف استطاعوا الوصول إلى كهف الصدى عن طريقها، ثم كيف وصلوا إلى كهفهم..

وهبط سمير من الطائرة وتبعه رجاله وأسامة

ثم أخبرهم طريف كيف ذهب إلى كوخ الرجال ثم كيف قابل فرجا، وكيف تمكن من تقييده ... ثم خطرت له تلك الفكرة العظيمة فأسرع إلى الكهف وسجَنَ الرجال. فقال سمير: هذا جميل جداً. ولكن القبض على هؤلاء الرجال وهم فى هذه الكهوف لن يكون أمراً سهلا، وأعتقد أنه من الأفضل أن نحاول أخذهم على غرة من الخلف عن طريق ذلك الممر الذي ينتهي خلف الصورة.

فقال طريف: نعم! ويمكن أن يبقى بعض الرجال أمام الباب المغلق لجذب انتباه الأشرار ويذهب الباقون عن الطريق الآخر لمفاجأتهم.

فقال سمير: هذه خُطَّةٌ مُحْكَمَةٌ، فابق أنتَ يا أسامة مع رجلين هنا، واذهب بهما إلى الباب المغلق بعد نصف ساعة، أما أنت يا طريف فتعال معنا لتُرينا الطريق.

وبعد نصف ساعة ذهب أسامة مع الرجلين إلى الباب المغلق وأخذوا يدقونه دقاً عنيفاً ويصيحون، فبدأ عوض ورجاله يدقون الباب أيضاً ويصيحون: من أنتم؟! افتحوا الباب! . . . أخرجونا من هنا! وأخذت الجماعتان تتصايحان فأحدثتا ضجة كبيرة، وفى ذلك الوقت كان طريف وسمير والرجال الباقون قد وصلوا إلى كهف الصدى وقال سمير:

إن الجو حار، فانبعث الصدى: الجو حار! حار! حار!، فذعر سمير وقال: ما هذا؟ هذا! هذا! فقال طريف: إنه صدى الصوت.

وبدأت كيكي تصيح وتقلد صغير قاطرة السكك الحديدية، فقال طريف: إنها تصيح هكذا دائما هنا، اسكتي يا كيكي؟

وتقدم سمير ومن معه حتى وصلوا إلى الممر المؤدى إلى حجرة العجوزين، فتسلقوا الحبل وأخذوا يزحفون داخل الممر وطريف في المقدمة، فلما وصل إلى الصورة أنصت فلم يسمع شيئاً، فدفع الصورة فسقطت، وقفز طريف إلى الحجرة وتبعه الباقون، وقال أحد الرجال: إن هذه المهمة كان يجب أن يقوم بها رجال نحفاء خفاف الأجسام !!

وقال طريف: إن جميع الرجال عند الباب المغلق يصيحون ويَصْخبون، فسيروا على حَذَر حتى نَصِلَ إلى كهف التماثيل دون أن يحِسُوا شيئاً.

وأصدر سمير أمره لرجاله بالتقدم في هدوء، فساروا ومسدساتهم فى أيديهم على أهبة الاستعداد واخترقوا الكهوف.. كهفاً بعد كهف حتى وصلوا إلى كهف التماثيل، وكانت الضجة قد ازدادت، ورأي طريف وسمير الرجال السبعة وهم يضربون الباب بحجر كبير لكى يهشموه.

وقال سمير: هذه هي فرصتنا، فالرجال مشغولون ومسدساتهم فى جيوبهم.

واقترب سمير ورجاله بهدوء حتى أصبحوا خلف عوض ورجاله، ثم صاح سمير: ارفعوا أيديكم! لقد وقعتُم فى أيدينا!

فالتفت الرجال خلفهم في ذعر شديد، ورفعوا أيديهم فوق رءوسهم، واستدار عوض وأخذ ينظر بحدة إلى سمير ورجاله. ثم قال من بين أسنانه: كيف جئتم إلى هنا؟ هل هناك طريق خَفِي؟! من الذي سجننا؟

فصاح به سمير: صه! لا نريد أسئلة منك!

ثم صاح بأحد الرجلين اللذين مع أسامة: سعيد! افتح الباب فقد قبضنا عليهم.

وفتح الباب، وظهر أسامة والرجلان. وقال سعيد: لقد كانت لُعبةً جميلة، وقد تمتعتُ بها.

فقال له سمير: خذ هؤلاء الرجال واذهب بهم إلى الطائرة، وأطلق النار على من يحاول الهرب أو المقاومة. أما أنا فسأبقى هنا لكى ألقى نظرة على هذه الكهوف.

وسار الرجال وقد وُضِعَتْ أيديهم في الأغلال، وهم يلعنون ويصخبون لهذه الهزيمة المنكرة التي مُنوا بها. ولما انصرفوا أقبلت إلهام وأنسام مسرعتين، وأقبل كذلك الرجل الشيخ والمرأة العجوز.

وأخذ سمير يسير معهم في الكهوف وهو يعجب لكل هذه الكنوز، وما فيها من الذهب والجواهر. وقال: إن من الصعب معرفة مصدر كل هذه الكنوز، ولابد لنا من الاستعانة بذلك الرجل جابر.

فقال أسامة: وقد يستطيع العجوزان مساعدتنا أيضاً.

وقال سمير: إننا سنأخذها معنا لاستكمال التحقيق. وذهب الجميع إلى الطائرات وركبوها. فركب الأشرار مع حراسهم في ثلاث طائرات، وركب العجوزان فى طائرة أخرى، وركب باقي رجال سمير فى الطائرة الخامسة، أما الطائرة السادسة فقد ركبها سمير والأطفال. وارتفعت الطائرات فى الجو فى طريق العودة. وقالت أنسام: أنا مسرورة لأني وجدت ديدي بخير.

فصاح سمير: ديدي!! من هي ديدي؟! أنني لم أر أطفالا غيركم!

فقالت أنسام ضاحكة: إن ديدي هي دجاجةُ العجوزَيْنِ، وقد كانت فى الكهوف مع الرجال الأشرار، وخفت أن يذبحوها ويأكلوها. ولكنها جالسة الآن فى أمان مع السيدة العجوز.

فقال سمير: إني أود أن أتعرف على هذه الدجاجة ديدي.

فقالت كيكي على الفور: ديدي قطيفة لطيفة !!

"تمت"